يا معشر النساء

رفقاً بالرجال

بقلم
دكتورة نجاح أحمد الظهار

دار المحمدي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الظهار، نجاح أحمد

يا معشر النساء رفقاً بالرجال - ط٣- جدة.

...ص ؛ ... سم

ردمك: ٩٩٦٠-٧٢٥-٥٥-٠.

١- الحقوق الزوجية. ٢- العلاقات الأسرية. أ- العنوان.

ديوي ٢١٩،١   ٢٠/١٢٩١

رقم الإيداع: ٢٠/١٢٩١

ردمك: ٩٩٦٠-٧٢٥-٥٥-٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٣٠هـ-١٩٩٩م

الناشر

دار المحمدي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

جدة - حي الجامعة - شارع عبد الله سليمان

هاتف ٦٨٩٧٥٠٩ ــ ناسوخ ٦٨٠٢٦٠٤

ص.ب ٩٣٤٧ الرمز البريدي ٢١٤١٣

إهداء

إلى كل حواء يمتلئ قلبها بالحب .. والود والحنان .

إلى كل حواء .. ترغب في صدق الحفاظ على جنتها .. والعيش بأمان .

إلى كل آدم .. انطفأت البسمة من على شفاهه .

إلى كل آدم .. قاسى من تقصير حواء في حقوقه وواجباته .

إليهما ... أهدي هذا الكتاب راجية أن تتعانق الأرواح في حب وتسامح ووفاء .

الكاتبة

د . نجاح أحمد الظهار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

استطاعت التغيرات الحضارية المعاصرة أن تؤثر على سلوكيات المرأة وطريقة تعاملها مع الرجل سلباً وإيجاباً ، حتى أن بعض الأصوات أخذت تعلو مطالبة بمساواة المرأة بالرجل في كل شيء ، واشتطت في الطلب وتعدت على حدود الله ، فطالبت بمساواتها حتى في الميراث الذي وضع شرعه المولى عزّ وجل .

وطفقت المرأة تطالب بالمساواة حتى في الأعمال الخاصة بالرجل كالزعامة والولاية والقضاء متناسية قوله ﷺ « **لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة** » ، وهذا الحديث ليس انتقاصاً من فكر المرأة وعقلها وحصانتها ، وما قاله المصطفى ﷺ إلا لعلمه بتكوين المرأة ، وغلبت عاطفتها على عقلها إضافة إلى المهام العظيمة المسندة إليها من حمل وولادة ، وتربية ورعاية .

كما أدّى استغلال المرأة الاقتصادي وخروجها إلى العمل إلى تغيير جزري في نمطية العلاقة بينها وبين الرجل ، فمن النساء من استطاعت أن تتغلب على هذه التغيرات مهتدية بالمصابيح المحمدية تسير على هداها ، وتعرض أمرها على نهجها الصالح لكل زمان ومكان .

ومن النساء من انخدعت ببريق الشعارات الحضارية الزائفة فأخذت تلهث خلف سرابها حتى إذا اصطدمت بالواقع فاقت من سكرتها تقلب كفها حسرة وندامة على جنتها التي أصبحت خاوية على عروشها ، فالزوج الحنون قد ولّى هارباً

من جحيم الحياة معها ، والأبناء فروا يتخبطون في دياجير الظلم .

لكنني اكتشفت من خلال نفاد طبعة الكتاب الأولى تلهف المرأة وحنينها إلى الحفاظ على جنتها ، وحلمها دوماً ببقاء ظلالها وارفة وهي تسعى دائبة إلى معرفة أخطائها كي تتحاشاها .

كما وصلتني خطابات نسائية كثيرة تعترف ببعض الثغرات والفجوات التي كانت تتخلل حياتهن الزوجية ، وإنهن بعد قراءة الكتاب اكتشفنها ، وبدأن في سدها ، وسعدن بالحلول المطروحة .

وكذلك وصلتني خطابات شكر وإشادة من كوكبة من الرجال مما شجعني على تكرار طباعة الكتاب .

أدعو الله أن يوفقني والجميع لما فيه مصلحة الأسرة المسلمة ..
وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم .

المؤلفة

د / نجاح أحمد الظهار .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

تعيش **حواء** اليوم واقعاً تعصف به تيارات مختلفة قلبت كثيراً من المفاهيم وأضعفت كثيراً من القيم المحمودة .

ولما كانت **حواء** هي نقطة الارتكاز في المجتمع ، وهي البؤرة الأساس ، لأنها الأم والأخت والزوجة والابنة ، ترصدتها العيون ، وحاصرتها القوى الخبيثة من كل جانب تبغي فسادها ، لتفسد الأسرة بأسرها ، ويتصدع المجتمع الإسلامي ، ويتفكك .

ولمّا كنت إحدى بنات **حواء** ، وأعلم بهن ، وأخبر بنفسياتهن ، وأقرب إلى مشكلاتهن من الرجل ــ فالمرأة أقرب للمرأة ــ حاولت جاهدة أن أتعايش مع **حواء** ، وأدلف إلى داخلها أفتش ، وأنقب عن كل ما يزعج آدمها ، لعلي أفلح في رأب الصدع ، وإصلاح ذات البين ، ورسم البسمة الهانئة على شفاه آدم بإعادة الثقة إلى قلبه ، والهدوء إلى نفسه .

فحواء التي حيرت العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، والفلاسفة ــ فعدوها لغزاً لا يمكن معرفة أسراره ، وفك رموزه ، ومخلوقاً عجيباً عجزت الخلائق عن معرفة نفسيته ، فهي عندهم تجمع بين القوة والضعف ، والجمال والقبح ، والحب والبغض ، والوفاء والغدر ، فهي حصيلة من المتناقضات السلوكية العجيبة ــ ما هي إلا مخلوقة رقيقة ناعمة ، ظلمتها أقلام القوم ، لأنهم عجزوا عن فهم طبيعتها ، وبالتالي فشلوا في التعامل معها ، وإصلاح ما

اعوج مـــن أمرها .

ولكن هنـــاك من تمكن من سبر أغوار المرأة ، وفتق أكمــــام أســـرارها ، وأطلع آدم على نفسيتها ، ووضع له أسس فن التعـــامل معــــها ، حتـــى يتمتـــع بارتشاف رحيقها ، ذاك هو الإسلام ، ومن هـــذا النبـــع بدأت أستقي أفكــــاري وأخـــذت أذكـــر **حـــواء** بآيـــات الله ــ سبحانـــــه وتعـــالى ــ وبأحـــاديث المصطفى ﷺ ، وبسيرة أمهات المؤمنين ، والصحابيات الكريمات رضـــوان الله عليهن جميعاً ، هادفة إلى رؤية الأسرة المسلمة وهي ترفل في سعادة ورفـــاء ، فيتحقق بذلك الهدف من وجودها ، وهو تعمير الأرض ، ونشر كلمة التوحيـــد .

وأحـــب أن أوضح **لحـــواء** بأنني لا أقصد بلفظ **حـــواء** أن أعم جميـــع النســـاء ، فهناك من النساء من يعجز الوصف عن الإحاطة بمناقبهن ، وحســـن عشرتهن ، **ولكني أؤمن بالمثل القائل :** " لكل حسام نبوة ، ولكل جواد كبـــوة ، ولكل حليم هفوة ، ولكل كريم صبوة " .(١)

فكل أمريء معرض للنسيان فقد قـــال ﷺ : « **كـــل ابـــن آدم خطّـــاء ، وخـــير الخطائين التوابون** » .(٢)

وأؤمن كذلك بأن **حـــواء** أكثر واقعيـــة مـــن آدم ، فـــهي لا تـــتردد فـــي الاعتراف بخطئها ، ولا تحجم عن إصلاح أمرها ، وهذه الحقيقـــة قد اعـــترف بها آدم ، **فقـــال :** " مشكلة الرجـــل أنه لا يعترف بأخطائه ، ويزيد علـــى هـــذا بأن ينسب مسؤولية هـــذه الأخطاء إلى غيره في هيئة ثورة ، وغضب يشعرانه

---

(١) جمهرة الأمثال : ٣٠٨/١ .

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيره عن أنس بن مالك ﷺ ، وهو حديث حسن ، انظر صحيح الجامع الصغير : ١٧١/٤ ، تخريج المشكاة : ٢٣٤١ .

أنه على حق ، ولم يرتكب أي خطأ ، أما المرأة فهي أكثر واقعية من الرجـــل ، وأكثر شجـاعة منـه ، وأقدر على تكييف حيـاتها في كل الظـروف ، فـهي قلمـا تتردد في الاعتراف بأخطائها حتى لو لم تكن مسؤولة مسؤولية مباشـرة عن الأخطـاء " (١)

وأخيـراً .. أقول **لحـواء** ما شجعني على الكتابة لـك إلا ثقتـي وإيمـاني بوفائك ، وحرصك على بقاء جنتك ، وتفانيك ، في إرضاء آدمك لأنك مجبولـة على إنكار الذات ، وحب الخير .

---

(١) رسالة إلى **حـواء** : ٦/٤٩ .

ماذا تريد حواء

حـواء اليوم .. تنكرت لأنوثتهـا ، ووأدت أمومتها جرياً خلف المكانـة الاجتماعية ، وتحقيق الذات ، فخرجت إلى العمل ، وجرت لاهثة فـي سـاحات العـلم ، وتشبثت بأستار الهيئات الاجتماعية ، تريد أن تضرب في كـل مكـان بسهم ، متناسية وظيفتها الأولى ، وهي **ربـة الأسـرة** .

فحـواء .. قبل أن تتزوج لها أن تسهم في كل مجال أرادت حتى تشـغل وقتها بكل ما هو مفيد ونافع ، فواجـبها الأول والأخير هـو اسـتغلال أوقـات الفراغ بما يعود عليها وعلى مجتمعها بالخير .

أما إذا تزوجـت .. فيجب أن تعي أن حياتها الأولـى قـد تغـيرت ، وأن وظيفتها الأولى أصبحت هي البيت والأولاد ، وإن كانت تحمل أكبر الشهادات .

ولكن للأسف نجد المـرأة تريد أن تحصل على كل شيء ، تريد أن تتعلم ، وتحصل على أكبر الشهادات ، وفي نفس الوقت تريد أن تعمل وتحصـل علـى أرفع المناصب ، وتريد أن تتزوج وتحصل على أفضل زوج ، وتريـد أن تلـد لتحصل على أكبر قدر من الأولاد ، وتريد أن تخرج إلى المجتمع لتحصل علـى أعظم المراكز الاجتماعية وفي أوسع نطاق !!!

وفي النهـاية .. وبعد الجري اللاهث تجد نفسها تجري خلف سراب ، وأن كل آمالها قد انهارت ، لأنها بَنَتها على أساس ضعيف واهٍ .

فعلى المـرأة .. أن تتريث وتتعقل ، وأن تحدد خطوط مسيرتها في الحياة ، وتحدد الأولويات لتعطيها حقها كاملاً ، ثم تنظر إلى الأمور الثانوية وتأخذ منـها بقدر استطاعتها دون تناحرٍ ودون تعدٍ على الأولويات المفروضة .

فإذا أرادت أن تتزوج فلتجعل البيت والأولاد هو هدفها الأول والأخير ، فإذا أدت كل ما عليها من حقوق وواجبات تجاه بيتها وزوجها ـ وما أكثر هذه الحقوق ـ عليها أن تأخذ بطرف يسير من الأمور الثانوية دون أن تؤثر على الأولويات ، فإن رأت بعد شروعها في الأمور الثانوية كالتعليم ، والعمل ، والنشاطات الاجتماعية أن بيتها سوف يتأثر فلتترك هذه الأمور بتة ، ودون تردد ، أو لوم نفسٍ .

حواء والحب الحقيقي

على مر العصور ، وتعاقب الأزمان ، تسمع أنات المشتاقين توجع الفؤاد ، ودموع العاشقين تذيب الأكباد ، وروم الوصال هو الغايـة ، فسـمعنا قصصـاً وحكايات أخذت بمجامع القـلوب ، وألـهبت الإحسـاس ، وأثـارت الشـعور والوجدان ، تلك هي " **قصص الحـب العذري** " فأصبحت تراثاً أدبياً منقوشـاً في مخيلة الزمن ، وإكسيراً يسري في وجدان الأجيال فهل هذا هو الحب حقاً ؟!

إنها ومضة برق خطفت الأبصار ، وبقعة سرابٍ خدعت القلوب .

إن الحب الحـقيقي هو ذلك الحب الإيمـاني الذي يتدفـق فيـه الشعـور الوجداني ، ويفيض بالشوق والرغبة والخوف على المحب ، الخوف عليه ليـس من عوارض الدنيا وما فيها من بعد وعدم لقيا ، فقد تتباعد الأجسـاد ، وتظـل الأرواح على لقيا دائمة لا تنقطع .

إن أسمى وأرفع معاني الحب لم يذق حلاوتـها إلا القلـة التـي تخطـت بعواطفها حواجز الحياة الدنيا ، وصعدت بحبها إلى روضات الجنان .

هذا هو الحب الحـقيقي الذي يجهل طريقه الكـثيرون ، فحـرمـوا مـن لذائذه ، ففاتهم ما فاتهم .

فهل تسمح لي **حـواء** بأن أرشدها إلى طريق هذا الحب الذي غاب فـي عصر الماديات ، وتوارى بعيداً حتى لا يتلوث بأدران المادية ، وإنما قبع فـي غار لا يعرف طرقه إلا العبّاد .

إن حب الـزوج ليس هو تلك الكلمات المعسولة التي تسكبينها في أذنيـه ، فيخفق قلبه طرباً .

إن الحب الحـقيقي أن تفلحي في ربط قلبـه بالآخرة ، وأن تعمقي حــب الله في نفسه ، وأن تغرسي خوف الله في ضميره ، وأن تعينه على فعل الخير .

فكثيراً .. ما تتباهى **حـواء** بحبها لزوجها ، وتظل ليلها ونهارها تصف عظـم ذلك الحب ، ولكن لو كشفنا غطاء الحقيقة لوجدنا أن حبـــها دنيـوي زائـل ، فزوجها الذي تحبه وتخاف عليه من نسمة هواء لا يواظب على أداء صلاتـه ، حتى صلاة الجمعة تراه يهملها ، وهي لا تحب إيقاظه للصلاة حتـى لا تقلـق منامه ، وزوجهـا الحبيب يشرب الدخان ، ويكشف على غير محارمه ، وهـو كثير الكذب ، والغيبة ، والنميمة .

وهي تعـلم ذلك كله ولكن لا تريد إزعاجه بالنصـائح !!

مثل هذه الزوجـة أنانية مخـدوعة في مشاعرها ، لأنها أحبـت الرجـل لذاتها ، لدنيتهـا ، ولو كانت حقـاً تحبه لخافت عليه مـن القـبر وضمتـه ، والحساب ورهبتـه .

قد تتعذر **حـواء** بأنها تريد نصحه وإرشاده ، ولكنه يغضب ويرفض تقبل أي كلمة !!

هنا أتوقف لأسائل **حـواء** ؟! أين ذكاؤك ؟! لما لا تسـتخدمين الوسـائل الطبيعية التي تسري في دمائك ، هذه الوسائل التي صرح النبـي ﷺ بفعاليتـها ونجاحها ، وقوة تأثيرها .

قال ﷺ : «**لم أر من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن**».(١)

فالمـرأة لها غلبة على الرجل مهما بلغت درجة حزمه وشدته .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم : ١/١/٨٣.

ولقد اعترف الكل بهذه المقدرة الطبيعية المغروسة في داخلها ، **فقــالوا :**

" المرأة التي تهز المهد بيد تهز العالم باليد الأخرى " .

وقــالوا : " وراء كل رجل عظيم امرأة " .

فصلاح الأمة مرهون بصلاح المرأة ، **وفسادها كذلك** مرهون بفساد المرأة .

ولقد أدرك الغرب هذا الأمر ووعوه فسلطوا الضوء عليها ، وجعلوا مـــن هــذا الكائن اللطيف معول يهوي على رؤوس الخير .

وهي أبرع جند إبليس ، وأكثرهم حذقاً إن سارت في كتائبه لذا ذكر المصطفـــي ﷺ أن أكثر أهل النار من النساء !!

فعن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : « **أريت النار أكثر أهلها النساء** »[١] .

ولكن تاريخنا الإسلامي المجيد مليء بقصص النساء اللواتي عرفن طعـــم الحب الحقيقي وتذوقن حلاوته في الدنيا ، وسيتذوقنها بمشيئة الله في الآخرة .

✹ **فهذه عمرة امرأة حبيب العجمي** كانت تحث زوجها على العبادة ، وتغريـــه بالحصـــول على خير زاد ، انتبهت ليلة وهو نـــائم ، فأنبهتـــه فـــي الســـحر ، وقـــالت له : (قم يا رجل ، فقد ذهب الليل وجاء النهار ، وبين يديـــك طريـــق بعيد ، وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ، ونحن قد بقينا)[٢] .

✹ **ولله در امرأة كانت توصي زوجها قائلة :** (أقســـمت عليـــك أن لا تكســـب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي ، بِر أُمَّـــك ، صِل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك)[٣]

---

(١) البخاري : كتاب الإيمان ، باب كفران العشير :١٤/١/١.

(٢) صفة الصفوة : ٣٥/٤ .

(٣) صفة الصفوة : ٤٣٧/٤.

❋ **وما أروع صنيع تلك المرأة التي تدعي هنيدة** ، فقد كانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه ، فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها ، فتقول لهم : (قوموا فتوضأوا وصلوا فستغتبطون بكلامي هذا ، فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت ، فرأى زوجها في منامه : إن كنت تحب أن تَزَوَّجَها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها ، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات ..) .[1]

❋ **وهذه أم سليم بنت ملحان** زوجة الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري تعين زوجها على فعل الخير وتحثه عليه ليزداد أجراً ، وترتفع منزلته في الآخرة يروى أنه : « **جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلاّ ماء ، ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت مثل ذلك ، وقلن كلهن مثل ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : " ومن يضيفه يرحمه الله " فقام رجل من الأنصار يقال له : أبو طلحة ، فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته " أم سليم " هل عندك شيء ؟ قالت : لا إلا قوت صبياني ، قال فعلليهم بشيء ونوميهم ، فإذا دخل ضيفنا ، فأريه أنّا نأكل ، فإذا هوى بيده ليأكل ، فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ، ففعلت ، فقعدوا ، فأكل الضيف وباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : " لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة " وفي آخر الحديث فأنزل الله عزّ وجل قوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة [2] ﴾** .[3]

---

(١) صفة الصفوة : ٣٩١/٤.　　　(٢) سورة الحشر :٩ .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة : ٢٦٦/٤ ، وفي تفسير سورة الحشر .

وعن المصطفى ﷺ قال : «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ، ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء** ».[١]

وهكذا كان سلفنا الصالح يبحث عن المرأة التي تعين زوجها على عبادة ربه .

دخل الشعبي سوق الرقيق فقيل له : هل من حاجة ؟ فقال : حاجتي صورة حسنة يتنعم فيها طرفي ، ويلتذّ بها قلبي وتعينني على عبادة ربي.[٢]

(١) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي حاشية الإمام السيوطي : ٢٠٥/٣ ، كتاب قيام الليل وتطوع النهار .

(٢) بهجة المجالس :٢٩/٣ .

حواء بين العناية بالأبناء وإهمال الزوج

لا أعلم لِمَ تعتني **حواء** بزوجها في أول الحياة الزوجية ، ويكـــون هـــو محور حياتها ، ومركز اهتمامها !!! فتعتني بزينتها ، ورشاقتها من أجل كســـب قلبه ، بل إنها تتخطى المستحيل لأجل إرضائه ، ولكنها بمجرد ما ترزق بـــأول مولود حتى تبدأ في إهمال زينتها ورشاقتها فتأخذ في التهام الدهون والســـكريات والنشويات بحجة تغذية الطفل وإرضاعه ، فيزداد وزنها يوماً بعد يوم !!

لم تمر سوى سنتين على زواجها ولكنها تبدو وكأنها فـــي الخمســـين مـــن عمرها ، وهي ابنة العشرين ربيعاً !!

فذلك الشعر الحريري الناعم أصبح وكأنه منشة تنظيف قديمة ، وقد يحلـــو لها أن تتأنق فتضع عليه منديلاً وتشده إلى الخلف ، وذلك الفســـتان الحريـــري الأخضر الذي كان يعجب زوجها قد علاه الغبار داخل الصـــوان ، واســـتبدلته بقمصان النوم الفضفاضة فبدت وكأنها فلاحة في وسط الغيط .

فهي لم تعد تحتمل الفساتين الضيقة لأن الخصر النحيل الذي كان يتغزل به الزوج قد دفن بين ركام الشحوم الهائلة .

وتلك الرائحة العطرية الحالمة كانت تفوح منها ، فتطرب قلب زوجها قـــد نافستها رائحة الحليب المختمر المنسكب على الملابس .

وذلك الصوت الناعم الذي كان يترنم بأعذب الكلمات قد أصبح صوتاً أجشاً ينعق بكلمات التأفف والتذمر والتعب .

وغرفـــة النوم التي كانت تحمل أجمـــل الذكريـــات تحولت إلى مستشـــفى للأطفال فالحفائظ موضوعة فوق التسريحة ، وعلب الحليب مصفوفة على أرفف

الدولاب والأدوية مبعثرة على الخزانة الصغيرة الموضوعة بجانب السرير .

إن تغيير الحـال وانقلاب الحياة الزوجية رأساً على عقب بعد أول مولـود يجعـل آدم يفر هاربـاً من جحيم هذه الفوضى – وحق له – إنه يفـر إلـى المقاهي ، ومنتجعات الأصدقـاء ، وقد يزين له بعضهم السفـر إلى الخـارج لرؤية مباهج الحياة ، وهكذا يصبح الزوج رفيقاً للطيور المهاجرة .

وتظل **حـواء** بعد ذلك تحكي مأسـاتها مع هذا الـزوج الفار الذي لا يعـرف قيمة للحياة الزوجية ، ونسيت أنها هي بطلة هذه المأساة وهي كاتبـة النـص ومخرجة القصة .

حـواء...

ليس الـزوج وسيلة لإنجاب الأطفـال فقط ، حتى إذا ما حصلـت علـى مبتغاك لفظته من قلبك ، وجعلته على هامش حياتك .

وتظلين ترددين عند تأجج أي مشكلة : الحمد لله أنني فزت بهذا الرصيـد مـن الأولاد ، أمّا هو فليذهب إلى غياهب المجهول !!

هذه المقالة تنبئ عن مكنونات **حـواء** تجاه زوجها ، وعن الأساس الـذي انبنت عليه العلاقة الزوجية من بدايتها ، وهو أساس يقوم على المنفعة الذاتية لا المنفعة المشتركة بين الطرفين .

نسيت **حـواء** أن الـزوج هو الأصل الذي ينبت الثمـار الصالحة ، ومن لـم يعتنِ بالأصل ، فلا خير له في صالح الثمر .

حواء وطاعة الزوج

أرى **حـواء** بعد أن ارتادت دور العلم ، ونهلت من مناهلـه ، وحصلـت على أعلى الدرجات العلمية قد نفشت صدرها ، وشـمخت بأنفـها ، واعـتزت برأيها فاستنكرت خضوع **حـواء** لطاعة الرجل !! وأصبح من الصعب كبـح جماحهـا ، أيعقل وهي في عصر تحرر المـرأة أن تقبع ساكنة تحـت جنـاح رجل ؟!!

لقد خُدعت **حـواء** ، وضلت المقصد في متاهات حضارة العصر الزائف .

إن طـاعة الزوج ليس معناها الخضوع والذلة كما يتراءى لبعضهم !!

إن طـاعة الزوج معناها اعتراف بالفطرة ، اعتراف بالأنوثـة والرقـة ، ففيها تجد المرأة نفسها ، وتحقق ذاتها ، وتشعر بالطمأنينة ، والسكون والهدوء .

ولا أقصد بالطـاعة هنا أن تمحو المرأة شخصيتها ، وتصبح آلة صمـاء مجردة من التفكير يحركها الرجل في أي اتجاه شاء .

وإنما أقصد طـاعته في كل أمر لا يخالف الشرع ، أما ما خالف الشـرع فلا طـاعة له عليها !! لأنه لا طاعة لمخـلوق في معصيـة الخـالق ، فعـن عائشة رضي الله عنها : « **أن امرأة من الأنصار زوّجت ابنتها ، فتمعّط [1] شـعر رأسها ، فجاءت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فقالت : إن زوجها أمرنـي أن أصِل في شعرها ، فقال : "لا ، أنّه قد لُعِن الموصِلات** » [2]

وللمـرأة أن تناقش الرجل في الأمور التي تختلف فيها معه ، وتوضح لـه

---

(١) فتمعط : أي تناثر ، وانتتف من أصله .

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية : ٤٢/٣ ، وانظر كذلك : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، كتاب اللباس والزينة :٤٣/٣ .

وجهة نظـرها ورأيها بأسـلوب المستوضح لا بأسـلوب الآمـر ، وبأسـلوب المستجيب لا بأسلوب المعاند .

فالرجـل يحب المـرأة شريكة لا منافسة ، وهو أيضاً لا يحـب المـرأة الجوفاء جامدة العقل ، متبلدة الإحساس كالحجر الأصم يتدحرج في أي اتجاه . فالمناقشة بين الزوج وزوجه ضرورية لبعث الحيوية في الحياة ، وقتل الروتين الذي يولد السأم والملل .

* **ولقد سمعت بقصة الشاب** الذي طلق زوجه لأنها لم تنطق بكلمة " لا " قـط ، ولم تخالفه الرأي في أمرٍ من الأمور ، فملَّ منها ، وصرَّح بأنه لم يذق طعمـاً للحياة ، فهي كالدمية الآلية لا تستطيع أن تتصرف في أي أمر ، ولا تبت فـي قضية مما جعله يحس بالوحدة والغربة في داره .

أما ما يقوم به بعض النساء من محاولة إخضاع الرجل لـهن ، ووضعـه تحت سيطرتهن ، فهذه مخالفة صريحة للطبيعة الإنسانية ، والفطـرة البشـرية كيف تكون طعم تلك الحياة التي تسترجل فيها المرأة ، ويؤنث فيها الرجل ؟!!

إنها الطبيعة المعكوسة ، وكل شيء سار في عكس طريقه ضل .

* **وهذا المغيرة بن شعبة** يصف لنا الحـياة الزوجية الأسرية حيـن تنحـرف الطبيعة عن مسارها ، وحين تسير سهلة ميسورة في قنواتها ، فيقول : " إذا كان الرجل مذّكراً ، والمرأة مذكّرة تصادما[1] العيش ، وإذا كـان الرجـل مؤنثـاً ، والمرأة مؤنثة ماتا هزلاً ، وإذا كان الرجل مؤنثاً ، والمرأة مذكرة كان الرجـل هو المرأة والمرأة هي الرجل ، وإذا كان الرجل مذّكراً والمرأة مؤنثـة طـاب عيشهما ".[2]

---

(١) تصادما : أي اصطدما كما تصطدم الحديدة بالحديدة والمقصود لم يلن أحدهما للآخر .

(٢) بهجة المجالس : ٣/٣٦ ــ ٣٧ .

وقد كانت المرأة العربية في القديم .. تكره الرجل ضعيف الشخصية الذي يتبع المرأة من غير تفكير ، ففي فعله هذا إفساد لطبيعتها .

* يروى أنَّ **هند بنت عتبة** سألت والدها ألاَّ يزّوجها أحد حتى يعرض عليها الأمر ، فخطبها سهيل بن عمرو ، وأبو سفيان بن حرب ، فأخذ والدها يعرض عليها خصالهما ، فبدأ بذكر سهيل بن عمرو ، فقال : أما أحدهما ففي ثروة واسعة من العيش إن تابعتيه تابعك وإن مِلت عنه حَطَّ إليك ، تحكمين عليه في أهله وماله ، وأما الآخر فموسع عليه منظور إليه في الحسب الحسيب والرأي الأريب ، مِدْرهُ أرومته ، وعزَّ عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الطّهرة لا ينام على ضَعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله ، فقالت : " يا أبت الأول سيد مضياعٌ للحرة ، فما عست أن تلين بعد إبائها وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ، فاطوِ ذكر هذا عنِّي ولا تسمِّه عليَّ بعدُ ، وأمَّا الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحرة العفيفة ، وإنِّي للتي لا أريب له عشيرة فتعيره ، ولا تصيِّره بذعر فتضيره ، وإني لأخلاق مثل هذا لموافقة ، فزوجنيه) !(1)

وما أصدق المثل القائل :

الويل للبيت الذي تصيح فيه الدجاجة ويصمت الديك .(2)

إنَّ الانضواء تحت طاعة الرجل أمرٌ يرتبط بصحة عقيدة المرأة ، وقوة إيمانها ، وبه يتحدد دخولها الجنة . فقد قال ﷺ : ((**أيما امرأة ماتت وزوجها**

---

(1) العقد الفريد : ٧ / ٨١ ــ ٨٢ .

(2) هواجس النساء : ٩٨.

عنها راضٍ دخلت الجنة ».[1]

وعن حصين بن محصن عن عمة له أتت النبي ﷺ في حاجة لها ، ففرغت من حاجتها ، فقال لها رسول الله ﷺ : " **أذات زوج أنت ؟** " **قالت : نعم ، قال** : " **فكيف أنت له ؟** " **قالت : ما آلوه**[2] **إلا ما عجزت عنه ، قال** : « **انظري أين أنت منه فإنما هو جنتك أو نارك** ».[3]

وقال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « **إذا صلت المرأة خمسها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت الجنة** ».[4]

وروى في سنن النسائي : « **أخبرنا قتيبة قال : حدثنا الليث عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي النساء خير ، قال** : « **التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره** ».[5]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة : ٤/ ٣٠٣ ، ورواه الترمذي وقال حديث حسن (١١٦١) .

(١) ما آلوه : أي لا أقصر عن شيء أقدر عليه ، وأستطيع أن أفعله لزوجي إلا ما عجزت عن فعله .

(٢) رواه أحمد : ٤ / ٣٤١ ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال : فانظري كيف أنت له ، ورجاله رجال الصحيح ، خلا حصين ، وهو ثقة ، انظر : مجمع الزوائد : ٤ / ٣٠٦ ، وقال المنذري : رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين ، والحاكم ، وقال صحيح الإسناد ، انظر الترغيب والترهيب : ٣ / ٥٢ .

(٣) قال الهيثمي في المجمع : ٤ / ٣٠٥ ، رواه البزار ، وفيه داود بن الجراح ، وثقه أحمد وجماعة ، وقال ابن معين ، وهم في هذا الحديث ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو نعيم في الحلية بلفظ آخر ، وقال الألباني : وله شواهد يرقى بها إلى درجة الحسن والصحيح ، انظر : المشكاة : ٢ / ٩٧٢ رقم ٣٢٥٤ .

(٥) سنن النسائي ، كتاب النكاح ، باب أي النساء خير : ٦ / ٨٦ ــ دار إحياء التراث ــ وانظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٥١ ــ ٤٣٢ ، الحاكم : ٢ / ١٦١ ، صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني : ٣ / ١٢٦ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٨٣٨ ، تخريج المشكاة : ٣٢٧٢ .

ولعظم أمر الطاعة قــال ﷺ : « **فإني لو كنت آمراً أحداً أن يســجد لغــير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حــق ربها حتى تؤدي حق زوجهــا ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه** ».[1]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **يا معشر النـــســاء لــو تعلمــن بحــق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمــــي زوجــها بحــر وجهها** ».[2]

---

(١) إرواء الغليل : ٧ / ٥٥ ــ ٥٦ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٢٠٣ ؛ صحيح سنن ابن ماجة ــ باب حق الزوج على المرأة : ١ / ٣١٢ .

(٢) الترغيب والترهيب : ٤ / ١٢٢ ، قال : رواه البزار بإسناد جيد ، رواته ثقات مشهورون ، وابن حبان في صحيحه ، وذكره الذهبي في الكبائر : ١٨٩ موقوفاً .

حذار من تسرب الأسرار الزوجية

كل البيوت لا بد أن تمر بزوبعة من المشكلات الخاصة التي سرعان ما تتلاشى إن لم تجد ريحاً مفاجئة تثيرها ، ولكن نجد بعض النساء إذا حلت بهن مشكلة قمن بإذاعتها ونشرها بين الأهل والأصدقاء بحجة المشورة ، وطلب الرأي ، أو بحجة الفضفضة عن النفس ، وتخفيف الحِمل ، ويقمن أثناء السرد بإخراج ما في جعبتهن من مساوئ الزوج ــ مع إخفاء المحاسن طبعاً ــ فترتسم في الأذهان صورة مشوهة لذلك الزوج المسكين مما يؤدي إلى نفور الأهل والأصدقاء منه ، وقد تعود المياه إلى مجاريها بين الزوجين ولكن الصورة السيئة لذلك الزوج تظل تعشش في الأذهان .

ولا أعلم كيف تعود تلك المرأة إلى ممارسة حياتها الطبيعية بصدق بعد ما أذاعت كل أسرارها ، وأصبحت حياتها قصة على كل الشفاه ؟!!

إلى جانب أن كثرة الاستشارات وكثرة الآراء في المشكلة قد تؤدي إلى تعقيدها ، لأن كل من يدلي برأيه يدليه بعقلانية بحتة بعيداً عن العواطف التي تربط بين الزوجين .

كما أن كثرة التشكي للناس قد تؤدي إلى ملل السامع وتبرمه من الشاكي مع تسرب الشك في كل ما يرويه من حكايات ، كما أنها قد تؤدي إلى التندر بالمشتكية واتخاذها وحياتها الأسرية مصدراً للتفكه وأداة للتسلية وتمضية الوقت مع لومها في غيبتها على إذاعتها لأسرارها ، ورميها بالسفه والجهل وعدم الحفاظ على حرمة الحياة الزوجية وقدسيتها ، وقد تتعقد المشكلة أكثر فأكثر إذا حكيت للأم والأب وهي في قمة اشتعالها مع تأجج الانفعالات ، لأن عاطفة الأبوة لا تتحمل منظر الابنة المتألمة فتدفعها العاطفة إلى التصدي للزوج

والوقوف في وجهه بعنف بغية تحرير الابنة .

وكم من امرأة أخذت تعض أصابع الندم لأنها سمحت للغير بـــالتدخل فـــي حياتها .

فهذه حواء ...

التي كان يضرب بها المثل في السعادة الزوجية وحسن معاملة الزوج ، ولكنـــها أخطـــأت يوماً حين احتدم النزاع بينهما وبين زوجها لسبب تافه ، ولكن العـــزة بالأثم طغت على كل منهما ، فاندلعت نيران الخصام تأكل الأخضر واليابس مما دفع الزوجة وهي في قمة غضبها إلى الاتصال بوالدها الذي جاء وعويل ابنتـــه يصم أذنيه ، ودموعها في مخيلته أصبحت أنهـــاراً ، فأخذ يسرع الخطـــا إلـــى دارها ، وهو يكاد يتمزق غيظاً ، وعاطفة الأبوة تضرم نارها بيـــن جوانحـــه ، والتقى الرحيمان الغريمان وكل منهما يشتعل غضباً حتى احترق الرحـــم الـــذي بينهما ، **وحـــواء** في غرفتهـــا قد أفـــاقت من سكرة غضبها ، ولكن بعـــد أن فات الأوان !!

وقفت أمام زوجها ووالدها وهي مذهولة من تلك النهاية المؤلمة التـــي لـــم تخطر لها على بال ، وكان ضحيتها خمسة أطفال أبرياء .

ومن النساء من يحلو لها أن تصب كل صغيرة وكبيرة في أذن أمها حتـــى تصبح الابنة آلة توجه برادار الأم ، فـــهي لا تســـتطيع أن تحـــرك ســـاكناً إلا باستشارة أمها، فكأن الحياة هي حياة أمها ، وليست حياتها الخاصة ، وقد فـــات **حـــواء** هذه أن الرجل يريد أن يتعايش مع زوجتـــه وأن يتعامل مـــع عقليـــة زوجته لا مع عقلية أمها ، وهذا سبب من أقوى الأسباب التي تدفع الرجل إلـــى الهروب من البيت .

فحواء العاقلة ...

هي التي تحفظ أسرارها الزوجية وتقوم بحلها بينها وبين زوجها بعيداً عن العيون المتطفلة ، ولكن إذا تأزمت الحال ، ونفدت كل الخطط في حل مشكلتها لها أن تلجأ إلى أقرب الصديقات ممن يوثق بدينها ، وخلقها ، وأمانتها وحنكتها ، وحسن رأيها ، فتستشيرها في أمرها ، ومن المستحسن أن تعرض المشكلة على أنها مشكلة لشخص "ما " دون البوح بخصوصيتها .

حواء في وسط المعركة

إذا اشرأبت عنق الشر ، وأطلت الفتنة برأسها على حياة زوجين هـــانئين ، وتطاير الشرر من عيني الزوج ، وأصبح لسانه سياطاً تشوي قلب الزوجة .

كيف تتصرف حـواء ؟؟ هل تحد شفرة لسانها ، وتشد حبال صوتها ليرتفع فوق صوت زوجها ؟؟ فيهرع الأطفال إلى الاختباء في أركان البيت وزوايـــاه ، وقلوبهم الصغيرة تنتفض خوفاً ، وتهوي في سحيق المجهول .

وعيون الخدم تتلصص في فضول ، وآذان الجيران تصغي في شمات !!

ويشتد حمى الوطيس لتكون النتيجة دفن قلوب بريئة عطشى إلى الحب والأمان وانتصار العيون الحاقدة والآذان المتلصصة .

ولكن حــواء الحكيمة .. هي التي تطفئ نار غضب زوجــــها بهدوئـــها وسكونها وتحاول كل المحاولة في لملمة أعصابها ، لا شك أن داخلها يغلي غلي المرجل الذي تضرمه أفواه الشيطان ، ولكن حكمتها وبصيرتها يجب أن تخمـــد هذا الغليـــان دحراً لمكايد الشيطان ، وحفاظاً على حرمة الزوجية ، وإشفاقاً على القلوب الصغيرة المنكسرة .

ولها بعد أن يهدأ الموقف ، وتخف حدته أن تختلي بزوجـــها فـــي غرفـــة منفردة ، وتوصد من خلفها الباب ، وإذا أوصد البــــاب ، ورقّ العتـــاب وبـــدأ بأسلوب أنثوي حاذق لا تقريع فيه ولا اتهام سيرفع آدم راية الاستسلام ، ثم تبـدأ مناقشة الموقف مناقشة عقلية عاطفية ، وسيعرف كل امرئ مقدار خطئه .

✵ **ومن أبلغ ما حكي في مثل هذا الموقف** مـــا روي عن أسمـــاء بن خارجـــة حين زوّج ابنته إنه قال لها في ليلـــة زفافها : يا بنية إن كان النساء أحق بتأديبك

ولا بد من تأديبك ، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، ولا تقربي منه جداً فيملك أو تمليه ، ولا تباعدي عنه فتثقلي عليه ، وكوني له كما قلت لأمك :

خُذي العَفْوَ مِنِّي تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَورَتي حين أغضبُ
ولا تنقُريني نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً ... فإنَّكِ لا تدرين كَيْفَ المغَيَّبُ
فإنِّي رأيتُ الحُبَّ في القلبِ والأَذَى ... إذا اجْتَمَعَا لَمْ يَلبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ (١)

فهذه الأبيات تكشف عن نفسية الرجل ، فأكثر ما يؤجج الغضب في نفسه هو مجادلته والرد عليه أثناء سورته ، أو إثارته ببعض الكلمات التي تثير أعصابه ، وتتلف المودة ، وتهتك أواصر المحبة .

فعلى المرأة .. أن تعي أن هدوءها أثناء غضب زوجها سيشعره فيما بعد بالندامة والحسرة على ما صدر منه .

❋ **يروى أنَّ عبد الله بن عجلان** كان يحب زوجه حباً شديداً ، ولكنه في لحظة من لحظات الغضب الشيطاني طلقها ، ولم تنبس هي بكلمة ، بل ظلت صامتة ساكتة ، فندم على فعلته ندماً شديداً ، وحزن عليه حزناً عظيماً ، فقال مصرحاً بندمه :

فارقت هنداً طائعاً ... فندمت عند فراقها
فالعين تذري دمعة ... كالدر من آماقها(٢)

واستمعي إلى قول أعرابي وهو يصف شر النساء ، فقال : « شرهن النحيفة الجسم ، القليلة اللحم ، الطويلة السقم المحياض ، الممراض ، الصفراء المشؤومة العسراء ، السليطة الذفراء ، السريعة الوثبة كأن لسانها حربة ،

---

(١) بهجة المجالس : ٣ / ٥٦ .

(٢) خير النساء وأكرمهن عند الله ورسوله : ٢٠ .

تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحرب » [(١)].

ويصف النبي ﷺ فن تعامل المرأة مع زوجها في حال غضبه فقال ﷺ :

« **ونساؤكم من أهل الجنة ، الودود الولود ، العؤود[(٢)] على زوجها ، التـــي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ، وتقول : لا أذوق غمضاً [(٣)] حتـــى ترضى** » [(٤)].

❋ **وهذا أبو الــدرداء** يسير على نهج المصطفى ﷺ ، ويجلـــس مـــع زوجتـــه ليناقش مشكـــلة الغضب ، ويضع لها العلاج قـــــائلاً : « **إذا رأيتنـــي غضبـت فَترضيني ، وإن رأيتك غضبت ترَضيتك وإلاَّ لم نصطحـــب ، قـــال الزهـــري : وهكذا تكون الإخوان** » [(٥)].

وحـــذار حـــذار .. من ربط الأحزمة ، وشد الحقائب ، والرحيل إلى ديـــار الأهل .

فمن أكبر الأخطاء التي تقع فيها **حـــواء** اليوم هي تركها لبيت الزوجية لأتفـــه مشكلة تقع بينها وبين آدمها .

رحم الله أيام الأمهـــات والجدات إذا غضبت الواحدة لجـــأت إلى غرفتهـــا

---

(١) العقد الفريد : ٧ / ١٠٥ .   (٢) العؤود : التي تعود على زوجها بالنفع .

(٣) لا أذوق غُمضاً : أي لا أذوق نوماً حتى ترضى ، قال المنـــاوي : فمن اتصف بهذه الأوصاف منهن فهي خليقة بكونها من أهل الجنة ، وقلما نرى فيهن من هذه صفاتها / فيض القدير : ٣٠ / ١٠٦ .

(٤) حديث حسن ، رواه النسائي في " عشرة النساء " وتمام الرازي في " الفوائد " وعنه ابن عساكر من حديث ابن عباس ، وفيه خلف بن خليفة وهو ثقة لكنه اختلط بآخره لكن له شاهد من حديث أنس ، رواه الطبراني في " المعجم الصغير " : ١ / ٤٦ ، والأوسط ، كما في المجمع : ٤/ ٣١٢ ، قال المنذري في " الترغيب " : ٣ / ٥٧ ، " رواته محتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي فإنني لم أقف فيه على جرح ولا تعديل " ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني رقم :٢٨٧.

(٥) العقد الفريد : ٧ / ٧٩ .

المجاورة بعض الوقت حتى تهدأ الحال ، ثم تعود لتستأنف حياتها .

ولكن حواء اليوم قد تلجأ إلى مثل هذا الأسلوب مع تطويره وتعقيده بعض الشيء ، فقد تتحصن بالغرفة المجاورة أياماً وليالي عقاباً للزوج بمنعه حقوقه المشروعة ، وهي لا تعلم أن الرجل قد يثأر لكرامته فيعافها بقية العمر ، ورحم الله الأمهات والآباء الذين كانوا يعيدون بناتهم النازحات في نفس اللحظة التي يخرجن فيها مع نصحهن بأن ليس للمرأة بعد أن تخرج من بيت أبيها إلا بيت زوجها ، فلا سقف يظلها بعده ، ولا مأوى يأويها مثله .

✹ **وقد حكت لي والدتي** عن امرأة خرجت من بيت زوجها لخصومة وقعت بينهما ، فشدت رحالها إلى بيت والدها الذي حاول وأمها إقناعها بالرجوع إلى دارها ، وأن ما وقع بينها وبين زوجها أمر يمكن تداركه ، ولكنها امتطت صهوة العناد ، وحكّمت الرأي بعدم العودة !!

فماذا كان تصرف الوالدين ؟؟ لقد اتفقا على تكثيف العبء عليها ، وتخشين معاملتهما لها ، ومنعها من التصرف في كثير من أمور البيت ، وحرمانها من الخروج من الدار لأنها ما تزال في عصمة رجل ، والمجتمع آنذاك لن يرحمها من لسانه ، وكذلك ضيقا عليها في أمر الزينة فلا يحق لها أن تتزين إلا لزوجها ، إلى غير ذلك من الخطط التي كانت تتناسب وعصرها حتى ملت الفتاة ، وشعرت بالغربة في دار أهلها ، وبدأ الحنين إلى تلك الدار ، وذلك الصاحب ، فصاحت تطلب العودة إلى مأمنها ، والأب يتصانع الرفض ، ويماطل في الإجابة ، وهي تزداد إلحاحاً يوماً بعد يوم حتى تأكد الأب أن الدرس قد أينعت ثماره ، ورسخت جذوره في نفس ابنته أعادها إلى كنف زوجها بعد أن تفاهم معهما على نقاط الضعف في كليهما .

حواء والنزيف المادي

يكد آدم ويتعب لجمع قوت العيال ، وتأتي **حواء** في خفة ودلال لتضيع في ساعة ما جمعه آدم في سنة .

فحواء قد رأت عند جارتها " مزهرية " رائعة وجميلة ، وهي زهيدة الثمن لا تتجاوز بعض الألوف ، ورأت عند أختها مفرش طاولة يساوي مرتب زوجها الشهري ، والأطفال قد امتلأت خزائن ملابسهم بجميع الماركات العالمية .

ولكن حواء ترى ضرورة شراء خزائن أخرى ؛ لأن هناك موديلات جديدة قد خطفت بصرها ، وأسرت قلبها ، وهي لا تستطيع أن تغالب رغبتها .

هذا كله وآدم المسكين ينظر إلى ماله الذي قد تعب وسهر في جمعه يتسرب من بين أصابع زوجه في خفة ليصب في جيب غيره ، وهو لا يستطيع أن ينطق بحرف اعتراض ، فهو إن اعترض أغرقته دموع **حواء** ، وإن أبدى وجهة نظر انطلق لسان **حواء** من غمده يسقط كل رأي .

وليت هذا كله قد أسكن نفس **حواء** وأرضى غرورها ، ومالت إلى زوجها تشكره بابتسامة لطيفة ، وكلمة حانية تضمد جراح الغيظ التي فتحتها حماقاتها ونزواتها .

ولكن عدم القناعة وشراهة الاقتناء وحب التملك لكل ما هو جديد زرعت في داخلها القلق ، وكست وجهها بقناع الغضب وعدم الرضى .

فهي دوماً عابسة مكفهرة ، مقطبة الجبين ، ساخطة على مستواها المعيشي .

وآدم في سبيل ابتسامة صافية أصبح يحتال على جيوب أصدقائه حتى أثقل كاهله بالديون ، فأخذ يخفي رأسه عن أعين الدائنين ، ويفر من وجه الأصدقاء والمحبين .

وقد كان للشعر دوره في تصوير شراهة بعض النساء وحبهن للمال ، ***قال الشاعر علقمة الفحل :***

فإن تسألوني عن النساء فإنني ... بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُهُ ... فليس لـه من ودّهنَّ نصيب
يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيثُ عَلِمْنَهُ ... وشَرخُ الشبابِ عندهن عجيبُ [(١)]

وكم تندر الأقوام من المرأة المسرفة ، وأطلقوا العبارات التي تصور جشعها ، وتظهر تفاهتها ، وإليك بعض تلك الأقوال :

قال أحدهم : " النساء رياحين القلوب ــ شياطين الجيوب " .

وقال جون باريمور : " المرأة هي المخلوق الوحيد الذي لا يعرف ما يلزمه حتى يشتريه " .

وقال فورستر ووكر : " المرأة على استعداد دائماً لشراء أي سلعة تعتقد أنّ صاحب المتجر يخسر فيها " .

وهناك مثل انجليزي يقول : " النساء كالطرق تحتاج صيانتهن للمال الكثير " .

وقال الكسندر دوما : " الزواج هو انتقال تدريجي لمحفظتك من جيبك إلى جيب زوجتك " .

وقال درزائيلي : " لم تولد بعد تلك المرأة التي لا تحب أن تشتري شيئاً تافهاً بسعر مرتفع " .

---

(١) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري : ٣٥ ــ ٣٦ .

وقال أميل زولا : " لذة المرأة الجاهلة أن تنفق ثروة زوجها لتغيظ الأخريات " .

ولكن التربية المحمدية الحقة تأبى أن تكون المرأة بهذه الصورة السيئة ، وتأنف أن ينظر الرجل للمرأة هذه النظرة المادية ، فهذبت طباعها ، وصقلت أخلاقها ، فقال ﷺ حين سأل أي النساء خير: « **الذي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره** » .[١]

وفي سيرة أمهات المؤمنين ، والصحابيات الكريمات أعظم قدوة وأجمل مثل .

* **فتلك فاطمة الزهراء رضي الله عنها** تعطينا مثالاً حياً للمرأة المسلمة الصابرة التي تقدر ظروف زوجها ، ولا ترهقه بالطلبات ، لقد وقع زوجها الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ضائقة مالية ، فماذا فعلت رضي الله عنها ؟؟ هل تبرمت من وضعها ، وأشاحت بوجهها عنه ؟؟ هل زرعت في نفسه الإحساس بضيق ذات اليد ؟؟ انظري ماذا فعلت !! لمّا غلبها الجوع ، وبدأت آثاره ترتسم على وجهها دهش الإمام علي لهذا التغيير وبادرها سائلاً : ما بك يا فاطمة ؟؟ قالت : منذ ثلاث لا نجد شيئاً في البيت ، فقال لها : ولماذا لم تخبريني ، فأجابته : ليلة الزفاف قال لي أبي رسول الله ﷺ : « **يا فاطمة إذا جاءك علي بشيءٍ فكليه وإلاَّ فلا تسأليه** » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف خير النساء : « **خير نسائكم الطيبة الرائحة ، الطيبة الطعام ، التي إن أنفقت أنفقت قصداً ، وإن أمسكت أمسكت قصداً ، فتلك من عمّال الله وعامل الله لا يخيب**» .[٢]

---

(١) سبق تخريجه ص١٢ .

(٢) بهجة المجالس : ٣ / ٣٣ .

الاحترام بين الزوجين

قد يحلو لبعض النساء أن تتفاخر بين صويحباتها بأنها امـــرأة مدللــة وأن زوجها من شدة محبتها يصعد دوماً إلى السماء لينظم لها عقــوداً مــن النجــوم المتلألئة ، وقد تشتط في مبالغاتها ، فتتعدى عليه وتنعته بصفات لا تليق بمكانته المرموقة في المجتمع ، أو لا تليق حتى بكونه زوجاً .

وقد يحلو لها أن تثبت لقريناتها بالدليل المادي القــاطع أن زوجــها خــاتم سحري في إصبعهــا تحركه في أي اتجــاه ، فتصرخ في وجهه أمامــهن ، أو تخالفه الرأي بحدة ، أو تحط من قيمة اقتراحــاته ، فلا يستطيع أن يتخذ قــراراً ولو بسيطاً إلاَّ بمشورتها مما يجعله أضحوكة يتندر به الوجيه والوضيع ، وقــد يحدث هــذا كلــه أمام الأبنــاء مما يجعلهم يستخفون بوالــدهم ، ويستصغرون شأنه ، فتسقط هيبته من نفوس صغاره ، فالمشورة والرأي القــاطع كلــه بيــد والدتهم ، فلا أهمية إذاً لهذا الوالد المغلوب على أمره .

أين حــواء هـذه من قول امــرأة سعيد بن المسيب **حيث قــالت :** (ما كنَّا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم : أصلحك الله ، عافاك الله)[1] .

وقد تلغي حــواء دور الأب التربوي ، فهي التي توجــه الأطفــال علــى حسب مزاجها ، وإذا راجعهــا ذلك المسكين في أمر سلوكي خــاطئ رآه فــي أبنائه ، فإنها ترميه بالجهل ، وعدم المعرفة ، وقد تتركه يتصرف مع أبنائه ، ثم تتصرف هي معهم بشكل عكسي مغاير مما يهز صورته في النفوس .

حتى متابعة الأبنــاء الذكور في المدارس قد سحبتها من سلطته ، وأصبحت هي

---

(١) أحكام النساء : ٣١١ .

التي تتصل بالمدرس والمدير ، وأصبحت الخطابات المدرسية توجه باسـمها لا باسم الأب !!

وأنا لا أعني بكلامي هذا إلغـاء دور الأم ، فبإمكانها أن تتـابع أبناءهـا الذكور إذا اضطرتها الظـروف مثل سفر الأب المفاجئ ، أو مرضه أو انشغاله لفتـرة معينـة ، أمـا أن تكون هي الحاكمـة المتصرفـة في كـل الأزمـان والظروف ، فهذا انقلاب للموازيين الأسرية له خطره الأكيد على سير الحياة .

حواء وذوق آدم

أخذ ينهب الأرض نهباً ، ويقطع الطريق الموصل إلى داره بسرعة غـــير عادية .

ابتســامة حانية ترتسم على شفتيـه ، وسعادة النصر تلون وجهه ، فقـد مـرّ بضائقة مالية عظيمة قلبت حياته رأساً على عقب .

وأخذ يتذكر تلك الابتسامة الذابلة على مبسم زوجه ، كم كانت تبعـث فـي نفسه الأسى وتشعره بالعجز والضعف .

ولكن فرج الله كان قريباً ، فاليوم قد ربح المناقصة ، وحصل على مبلغ من المال كبير ، وأول شيء قام به هو العزم على إعادة البسمة الهانئة على وجـه زوجـه ، ليشعر برجولتـه وقوته ، لذا وقف أمـام أفخر محل للمجوهـرات ، وابتاع أسوره من الألماس الخالص ، ووقف مرة أخرى عند أفخر محل للملابس النسائية الجاهزة واختار فستاناً باهظ الثمن ، ثم ركب سيارته ليطير إلى زوجه وأخذ يتخيل شعاع السعادة ، وهو ينير ذلك الوجه الصبـوح ، وطفـق يحلـم بالكلمات المعسولة التي سوف تسكبها في أذنه ، والتي حرم منها مدة خلو يده .

وصل إلى داره وهو في نشـوة عارمة ، وسعـادة بالغة ، وأخـذ ينـادي على زوجه بصوت المنتصر ، وما أن لبت النداء حتى وضع بين يديها بحركـة شاعرية تلك الهدايا الثمينة ، ووقف خافق القلب ينتظر الابتسامة الراحلة .

وطال انتظاره حتى الابتسامة الذابلة قد اختفت ، وبدا الامتعاض يكسو وجه زوجه ، وأخذت علامات الاشمئزاز ترتسم على كل ملامحها ، وبعـدم مبـالاة **قالت الزوجـة** : ما هذا الذوق البلدي ؟!! فستان لونه أحمر ؟!! أترانا في حلبة

مصارعة ؟!! من أي سوق ابتعته ؟!! وما هذه الأسورة الغليظة ؟!! في أي طريق وجدتها ؟!! وما أن طرقت هذه الكلمات أذنيه حتى أحس بألم يصمها وبوخز يمزق قلبه ، وشعر ببرودة في أطرافه ، واسود وجهه واكفهر ، وأخذت الدنيا تدور في عينيه ، وكاد يسقط أرضاً لولا أن تداركته نفحة من الشجاعة والكرامة أقامت عوده ، وأسرع يجمع تلك الهدايا ، ويدلف مسرعاً إلى غرفته ، وقد امتلأ قلبه حزناً وكمداً ، وشعر بنفور غريب يسكن فؤاده ، وحلت الوحشة مكان الألفة ، والقلق مكان الطمأنينة ، والقسوة مكان الرحمة .

هذا المسلك نجده كثيراً عند **حواء** !! فقد يحضر لها زوجها هاشاً باشاً هدية قيمّة ، ولكنها لا تناسب ذوقها فتصدر منها كلمات ازدراء وانتقاص لذوق آدم ، أو ترتسم على وجهها علامات السخرية والتهكم من غير مراعاة لشعور ذلك الزوج الذي كلّف نفسه الوقوف أمام واجهات المحال ، وأنفق وقتاً ليس بالقصير في اختيار الهدايا ، فمن باب اللطافة والذوق أن تفرح **حواء** بكل ما يأتي به زوجها حتى ولو كان منافياً لذوقها ، وعليها أن تشكره بعمق على شعوره الطيب ، فقد قال ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه** »(١).

ومن الحكمة أن تتزين له بكل ما يحضره لها من هدايا ما دام أنها تناسب ذوقه وترضيه ، حتى يتشجع ويغدق عليها الهدايا بعد ذلك .

---

(١) أخرجه النسائي في " عشرة النساء " من السنن الكبرى : ١ / ٨٤ / ١ ، وأخرجه أبو سعيد الشاسي عيسى ابن سالم في حديث بإسناد صحيح ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٨٩) .

حواء والتخلي عن أنوثتها

إني لأتعجب من **حواء** التي تتصدر المجالس ، وتتغنى في طرب ، وبصوت متغنج متكسر بأنها لا تفقه شيئاً في الطبخ ، فرائحة البيض المحروق تفضحها عند الجيران ، أما مسك الإبرة فإن الدماء التي تسيل من إصبعها تمنعها من محاولة الإمساك بها مرة أخرى ، فإذا ما أرادت رتق ثوب لجأت إلى الخياط ، أو استجارت بالجارات ، أو استصرخت بالخادمات ، إنها تتفوه بهذه الكلمات ، وتقص هذه الحكايات ، والبسمة لا تفارقها ، بل الضحكة يسمع رنينها في آخر المجلس ، وهي تظن وتعتقد أن جهلها بهذه الأعمال مظهر من مظاهر الحضارة ، ودليل على الأبهة والجاه ، وأنها من بنات الذوات المرفهات !!! ولم تعلم أنها بحديثها هذا تتخلى عن أجمل صفات الأنوثة ، وتوصد باباً من أبواب الأجر ، لأن كل عمل تقوم به المرأة لخدمة بيتها وأطفالها ، وابتغت به وجه الله كان لها فيه أجر .

❋ **فهذه أم المؤمنين عائشة** ــ رضي الله عنها ــ تبين للنساء فضل العمل ، وعظم أجر المرأة التي تقوم بشؤون بيتها ، قالت رضي الله عنها : « **المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله** »(١).

ورأت أثر المغزل في يد امرأة ، فقالت لها : « **ابشري بمالك عند الله عزّ وجل لو رأيتم بعض ما أعد الله لكم معاشر النساء لما أقررتم ليلاً ولا نهاراً** »(٢).

❋ **وهذه ابنة أعظم مربي للبشرية** تحكي لوالدها النبي الكريم محمد ﷺ ما

---

(١) أعلام النساء : عمر رضا كحالة : ٣ / ١١٨ .

(٢) المرجع السابق : ٣ / ١١٩ .

تلاقيه من عناء وتعب ، وتطلب منه أن يعينها بخادمة ، فماذا كان موقفه ﷺ ؟؟

«**عن ابن أبي ليلى قال : حدثنا علي أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق ، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته عائشة ، قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبنا نقوم ، فقال : " على مكانكما ، فجاء ، فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني ، فقال : ألا أدلكما على خير مما سألتما ، إذا أخذتما مضاجعكما ، أو أويتما إلى فراشكما ، فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، وأحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم** » .[1]

❋ **وهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق** تتزوج الزبير بن العوام ، وكان لا يملك من حطام الدنيا إلا فرسه ، وكانت تقوم ـ رضي الله عنها ـ بحمل النوى فوق رأسها ، وتعاون زوجها .

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : « **تزوجني الزبير ، وما له في الأرض من مال ، ولا مملوك ، ولا شيء غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته ، وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه وأعلفه ، وأستقي الماء ، وأخرُزُ[2] غَرْبَه[3]، وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبز لي جارات لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي**

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النفقات ، باب عمل المرأة في بيت زوجها : ٧ / ٨٤ ، اللفظ للبخاري ، وانظر كذلك : صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم : ٤ / ٢٠٩١ ، مسند الإمام أحمد : ١ / ١٠٧ ، سنن ابن ماجة ، كتاب الدعاء : ٢ / ١٢٥٩ .

(٢) أخرز : " الخرير " صوت الماء ويقال للماء جرى جرياً شديداً / اللسان " خرر " ٤ / ٢٣٤ ، أي أملأ ورواية البخاري " أخرِز " .

(٣) غَرْبَه : الغَرْب الدلو الكبيرة والعظيمة التي تتخذ من جلد ثور / اللسان " غرب " : ١ / ٦٤٢ .

أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي ، وهي على ثلثي فرسخ ، قالت : فجئت يوماً والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ﷺ ، ومعه نفر من أصحابه فدعاني ، ثم قال : إخ إخ ليحملني خلفه ، قالت : فاستحييت وعرفت غـيرتك ، فقـال : والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه ، قالت : حتى أرسل إلـيَّ أبو بكر بعد ذلك بخـادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني » (1) .

(1) صحيح مسلم ، كتاب السـلام ، باب جـواز إرداف المرأة الأجنبية إذ أعيت في الطريق : ٤ / ١٧١٧ ، اللفظ لمسلم ، وانظر كذلك : صحيح البخاري ، كتاب النكاح ــ باب الغيرة : ٧ / ٤٥ ، مسند الإمام أحمد ابن حنبل : ٦ / ٣٤٧ .

حواء الصامتة وحواء الثرثارة

تعتقد بعض النسـاء أن الصمت خصلة حميدة ، وصفة تعلي مـن شـأن المرأة ، وأخذن يطبقن تطبيقاً أعمى المثل القائل : " **إذا كان الكلام مـن فضـة فالسكوت من ذهب** " .

فأغلقت الواحدة منهن فمها إغلاقاً محكماً ، وأصبحت كالآلة الصمـاء فـي بيتها .

يدخل الرجل المسكين إلى داره متعباً منهوكاً ، وهو يحلم بكلمة لطيفـة رقيقـة تمس شغاف قلبه ، فتمحو عنه كل أثر للتعب ، لكنه لا يجد أمامه إلا امرأة آليـة تضع له الطعام وهي صامتة ، وتأكل معه وهي صامتة لا يسـمع إلا صريـر أسنانها وقت المضغ ، ثم تقوم لتغسل الأطباق ، وتنصرف إلى شـؤون البيـت الأخرى ، وإذا نطقت نطقت ببيان مسهب عن حاجات البيت ومتطلباته .

وهنـاك فريق من النسـاء يعتـقدن أن كسب قلـب الرجـل وجذبـه واستمالته تكون بإطالة الحديث والإطناب في الروايات ، يدخل الرجل إلـى داره وكأنه داخل إلى وكالة أنباء عالمية تافهة ، فهي تستقبله ، وفي رأسـها مليـون خبر ، وتبدأ في سرد أخبـار الأولاد ..الخادمة .. الجيران البقال .. الـهاتف .. الأصدقاء ، ولكثرة الأخبار وتزاحمها في رأسها نراها تقص الخبر ولا تكملـه ، بل تنتقل إلى خبر ثانٍ وثالث ، فتتداخل الأخبـار والقصـص وتتضـارب ، فيتعسر على المستمع المسكين أن يفهم خبراً واحداً وكل الذي يسـتفيده صـداع مزمن يرتمي على إثره مريضاً ، فيستسلم للنوم هروباً من نوبة إخبارية جديدة ، وكلا الصورتين لها خطورة بالغة على الحياة الزوجية !!

فالصمـت التـام يبعـث المـلل في النفس ، ويفتح هوة سحيقـة في قلب

الزوجين مما يهدد العلاقة بالتمزق والانفصال ، وكذلك الثرثرة تجعـل الرجـل يشعر بتفاهة زوجه واستصغارها ، وعدم تقديرها والثقة بكفاءتها .

ولكن على المـرأة أن تكون واعيـة وذكية ، وتعرف الأوقات المناسـبة وتختبر المواقف ، فهناك مواقف تحتاج إلى إيجاز في الكلام كأن يكون الرجـل تعباً مرهقاً ، أو يكون منشغلاً بأمر مهم ، فعليها أن تقدر موقفـه وتوجـز لـه الحديث .

وهناك مواقف تحتاج إلى إطناب في الحديث إذا كان الزوج قد أخذ قسـطاً من الراحة ، وعنده فضل وقت .

وعلى المـرأة أن تختار حديثاً ذا مغزى تجـذب زوجـها للدخـول فـي مناقشات مفيدة ، وأن تتبادل معه الآراء الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

والمـرأة الذكية هي التي تعرف طبيعة عمل زوجها ، وتتفهمه ، وعليـها أن تشاركه في مشكلاته العلمية ، وأن تضع معه حلولاً مناسبة .

وعليـها أيضاً أن تشارك زوجها في هواياته ، وتوسع ثقافتها في كل مـا يحبه حتى يجد طعماً لحديثها .

فالصمـت والثـرثرة إن لم يستخدما في مواطنهما الحقيقة كانا سبباً فـي ترسب الجفاء في نفوس الزوجين .

حواء والمساومة

من الحقائق التي لا تحتاج إلى جدل قدرة المرأة الفائقة على اختراع الحيل وحبك المكايد حتى أصبحت رائدة فن الحيل ، فهي لا تعييها حجة ، ولا تعجزها وسيلة .

ويبدو لي أنه ما دام قد حباها الله بهذه المقدرة ، فعليها أن تستخدم ذكاءها ومقدرتها هذه فيما فيه خيرها وصلاحها ، لا أن تباري الشيطان وتتسابق معه في حبك المكايد .

فبعض النساء يعميهن الغرور بهذه المقدرة ، فيستعملنها في غير موضعها ، فالواحدة منهن إن أرادت الحصول على أمر فإنها تنتهز أجمل اللحظات بعد أن تكون قد أحكمت فيها وثاق الرجل بإغرائها ، وما أن تلحظ ضعفه أمامها حتى تبدأ في مساومته ، وإملاء رغباتها عليه بطريقة أو بأخرى ، فإن رأت منه صحوة ، وأنه بدأ يتفلت منها ، ولم يذعن لطلباتها نراها تستعين بالشيطان الذي يسرع بمدها بخيله ورجله فتقع في المحرمات ، وتمنع زوجها حقاً من حقوقه .

وهنا أقول لحواء ...

لقد خانك ذكاؤك مرتين : المرة الأولى في مرحلة التخطيط ، والمرة الثانية في مرحلة التنفيذ ، فمن التخطيط الفاشل انتهازك لأجمل اللحظات ، وتحويلها إلى لحظات مادية صرفة بطرحها في سوق المساومة .

وفي مرحلة التنفيذ حين استعنت بالشيطان واتبعته ، ونسيت أمر الله ، وأمر رسوله ﷺ حين قال : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ، فأبت أن تجيء**

لعنتها الملائكة حتى تصبح » [1]

وقال ﷺ : « **فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تـؤدي حـق زوجها ، ولو سألها نفسها وهي على قتب** [2]**لم تمنعه »** .[3]

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « **إذا باتت المـرأة مـهاجرة فـي فـراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع »** [4] .

فغرور المـرأة أعماها عن ذكاء الرجل ومقدرته الفائقة في اكتشاف ألاعيبـها ، فهو إن سـايرها مرة أو اثنتين ، فإن كرامته لابد ثـائرة ، وإذا ثـارت فإنـها ستكون مـدمرة ؛ لأن ثورته تستند على حق شرعي ، فيبدأ الاشمئزاز يسـكن نفسه ، والنفـور يبيت في فؤاده ، فتهتز صورة **حـواء** في نفسه حتى تفنـى وتنعدم ، وينحل رباط الحياة بينهما .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : ٣ / ٣٩ .

(٢) القتب : هو الرحل الذي يوضع على ظهر البعير أو الحمل ، اللسان "قتب" : ١ / ٦٦ ـ ٦٦١ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : ١ / ٣١٢ رقم ١٥٠٣ .

(٤) فتح الباري ـ كتاب النكاح : ٩ / ٢٩٤ .

حواء والعلاقات الزوجية

لقد ذكرت في الكتاب الخاص بآدم أن عليه التماس العـــذر **لحــواء** فـــي بداية تكوين هذه العلاقة ، لأن تربية الفتـــاة وتنشئتها في مجتمعي تضع ســـتراً منيعاً ومخيفاً أمام هذا الأمر مما يغرس الخوف والرعب في قلب الفتاة ، فينتـــج عنه فيما بعد الجمود والتحفظ والرتابة .

وليس التمـــاس العذر معناه أن المرأة تظل على ما هي عليه مـــن جمـــود دون محاولة التخـــلص من أثر تلك التربية ، بل عليها مع معاونة زوجـــها أن تســـلك كل السبـــل التي ترضي ، وتشبـــع رغبـــاته حتى تحصل له العفـــــة المطلوبة .

وكم من امرأة تفتخر أنها تتعامل مع زوجها ، و كأنها جندي مـــرور ، أو ضابط شرطة ، وكأنها تريد أن تثبت عظم أدبها ، وجمال تربيتـــها ، وتقصـــد التعريض بالأخريات اللواتي يسلكن غير هذا المسلك .

ولقد سمعت من بعضهن وهي تقول في تعاظم أبله إنها لم تُسمع زوجها قط كلمة " **أحبك** " على مدار تسع سنوات عاشتها معه ، وهي غـــير مســـتعدة لأن تقولها له حتى يظل متوسلاً لها ، وما درت هذه المسكينة أنها تدفع بزوجها إلـــى البحث عن هذه الكلمة إما عند زوجة أخرى وبطريـــق شـــرعي ، وإمـــا أنـــه سينحرف عن جادة الصواب ، وتكون هي السبب الذي دفعه إلى طريق الغواية . **ولقد قرأت مقالاً في إحدى المجلات بعنوان** (أزواج يترددون على بيوت ســـيئة السمعة)[1]، آلمني كثيراً ، وأثار في نفسي الحزن العميق على مجتمعاتنا اليوم .

---

(١) مجلة كل الناس : السنة الرابعة ١٨٦ ، الأربعاء ٢١ ديسمبر ٧ جمادي الآخرة ١٤١٣ هـــ .

ولا أقصد من سرد بعض ما ورد فيه أن أعطي العذر للرجل ، أو الإباحة له أن يتصرف هذه التصرفات الشائنة ، ولكن أردت فقط أن أبين حجم هذه المشـــكلة ومدى خطورتها ، ووخامة نتائجها على الرجل والمرأة والأسرة والمجتمع .

﴿يقول (ن . م) مهندس عمره ٤٩ سنة﴾ :

عشت طول عمري أعمل في إحدى الدول العربية حتى أوفـــر لزوجتـــي وأولادي الأربعة الحياة الرغدة السعيدة ، وأحضر إلى وطني شهراً واحداً فـــي السنة ، وعشت على هذه الحال أكثر من عشرين سنة حتى تخرج أولادي مـــن مراحل التعليم ، وفجأة وجدت نفسي مثل الطاحونة التي لا تتوقف عـــن توفـــير الفلوس ، كل خطابات زوجتي لي عن مشكلات الأولاد ، والهم والغم والغـــلاء وكثرة المصاريف وطوال عشرين سنة لم تكتب لي زوجتي كلمة حب واحدة .

ويضيف قائـــلاً : شعرت أن عمري ضاع في الغربة ، وأنني مثل الثور الـــذي يدور في الساقية .. أين حياتي ؟؟ أين عمـــري ؟؟ أيـــن سـعادتي ؟؟ الجـــانب العاطفي مهمل تماماً ... يا ناس أنا لم أعش حياتي ـــ فين الكلمة الحلوة ... فين الدلع ... فين المجاملة ... فين الحـــب ؟!!

بالصـــدفة .. وفي أحد البنوك قابلت امرأة شقراء جميلة نحيفة قـــالت لـــي تسمح توصلني ، وبدون تردد وصلتها في شقة في الزمالك بعد رحلة قصـــيرة كثرت فيها إشارات المـــرور قالت : يا عيني يا روحي يا قلبـــي أنـــت تعبـــت تفضل اشرب كوب شاي ووجدت نفسي معها بدون ميعاد سابق .

في البـــداية لم أشك أنها من هذا النوع ولكني وقعت في هواها بعـــد ربـــع ساعة بالضبط ، تورطت في عـــلاقة معها ، وبعد ذلك تراجعت بعد أن اكتشفت حقيقتها ، ندمت على ما فعلت ولكنها قصة حدثت في حياتي .

﴿ وذكر آخر بأن سبب ذهابه إلى " بيوت سيئة السمعة " ﴾ :

إن الزوجة تحرص على العفة والتمنع في تأدية الواجب الجنسي بمنتهى الوقار والاحترام ، والزوجة تأخذ كل شيء ، ولا تعطي إلا القليل أما أولئك النسوة فإنهن يمتلكن سيكولوجية الرجل ، ويأخذن القليل ، ويعطين الكثير .

ويصرح طبيب نساء مشهور ــ تزوج أكثر من مرة ، وعندما فشل أدمن بنات الليل ــ بأنه لم تعد هناك زوجات ، فالزوجة تريد عقداً مكتوباً يضمن لها المستقبل مادياً وتظل طوال عمرها تحلب الرجل دون أن تسقيه ماء الحياة .

ويذكر أسباب هروبه من زوجه قائلاً : كنت أعود من المستشفى بعد يوم عمل شاق لأجد زوجتي بقميص النوم ، شعرها منكوش ، رائحة البصل والثوم تفوح منها تضع الطعام على المائدة كواجب ، تتحدث معي في مشكلات الفلوس وعندما يأتي الليل أعود من عيادتي كي أجدها نائمة بنفس القميص !!

الزوجة عندما تضمن زوجها لا تعيره أي اهتمام تعامله كبنك ممول فقط ، تتجاهل احتياجاته العاطفية والجنسية ، وصدقيني الرجل الذي يعيش حياة جنسية ناجحة ينجح في حياته ، في عمله ، وعلاقاته بأسرته وبالآخرين .

هناك أسرق من الزمن وقتاً لا أجده مع سواها ، امرأة كل ما يهمها أن تكون أنثى تقدم نفسها لرجل محروم من مباهج المرأة !!

هذه هي المصيبة ، فالزوجة لا تفهم حتى الآن معنى الحلال ، الحلال الحق أن تحرص على مشاعر زوجها كرجل أن تعطيه جسدها بفن وحب وعشق وليس مجرد واجب في الفراش .

أخيراً : أعتقد أنك قد فهمت لماذا أذهب إلى هناك !!

قطعاً إن الذهاب إلى مثل هذه الدور دليل على ضعف الإيمان ، وانعدام الوازع

الديني عند الرجل ، ولكن الشاهد في الموضوع ، هو دراسة الأسبـــاب التـــي دفعت بالرجل إلى السقوط في مثل هذا الجرم ، فالمرأة التي تدفع زوجها إلـــى سلوك مثل هذا الطريق بسوء تصرفها ، فهي شريكة له في الذنب .

والمقطع الأخـــير من كلام الطبيب الذي يطالب فيه المـــرأة بتطبيـــق الحـــلال والحرام قد صدق القول فيه ، وهو غني عن أي تعليق .

لا حياء في الدين

رحم الله نساء الأنصار ، فقد دفعتهن قوة إيمانهن للسؤال عن دقائق الأمور الخاصة بالمرأة لما يترتب عليها من أحكام شرعية .

فعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : « **نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه** »(١).

واقتداءً بنساء الأنصار وانطلاقاً من مبدئهن " **لا حياء في الدين** " ، فإنني أحب أن أصارح **حواء** ببعض الأمور الدقيقة ، والتي يشتكي منها كثير من الأزواج ، فقد تعتني **حواء** بمظهرها الخارجي ، وتتأنق عند دخولها وخروجها ، وتضع المساحيق ، وتتعطر بأفخر العطور ، ولكنها قد تهمل النظافة الداخلية إمَّا جهلاً ، أو تكاسلاً ، وهذا الإهمال يؤدي إلى نفور الزوج وتقززه ، وبالتالي يبدأ الملل والسأم يتسرب إلى نفسه وتجد المشكلات أرضاً خصبة تنمو فيها .

ومن عظمة الإسلام وسموه أنه اهتم بكل أمر المسلم صغيره وكبيره ، وتناول جميع جوانب الحياة ، فقد أدرك بعظمته النتائج النفسية الوخيمة التي تنتج عن عدم النظافة الداخلية ، لذا أمر الإسلام المرأة والرجل على حد سواء بالنظافة الفطرية ، فقال ﷺ : « **عشرة من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وإنتقاص الماء ، قال زكريا قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون**

---

(١) سنن أبي داود ــ كتاب الطهارة ــ باب الاغتسال من الحيض : ١/٨٥ .

المضمضة »[1].

كما أمر الإسلام المرأة إذا انتهت من أيام حيضها أن تضع المسك في موضع الحيض لما يتركه من رائحة نفاذة تنفر الرجل من الاقتراب من زوجه ، ومن ذلك ما روته السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ أنَّ امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فأراها كيف تغتسل قال : « **خذي فِرصَة من مِسك فتطهري بها ، قالت كيف أتطهر بها ، قالت : كيف ، قال : سبحان الله تطهري فاجتذبها إليَّ فقلت تتبعي بها أثر الدم** »[2] .

وحفاظاً على رابطة المحبة والألفة بين الزوجين أمر الإسلام الرجل المسافر ألا يدخل على أهله من غير إعلامهم ، فعن جابرﷺ قال : « **كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طُرُوقاً**[3] »[4] .

وعنه أيضاً قال : « **كنَّا مع النبي ﷺ في غزوة ، فلما قدمنا ذهبنا لندخل ، فقال : أمهلوا حتى ندخل ليلاً ــ أي عشاء ــ كي تمتشط الشعثة**[5] **وتستحد المغيبة**[6] »[7] .

قال الإمام الشوكاني في شرح الحديث : " والحكمة في النهي عن الطروق أن المسافر ربما يجد أهله مع الطروق ، وعدم شعورهم بالقدوم على غير أهبة من

---

(١) رواه مسلم ــ خصال الفطرة : ٢/١/١٤٧ .

(٢) صحيح البخاري ــ كتاب الحيض ــ باب المرأة دليل نفسها : ١/٨٥ ــ ٨٦ .

(٣) الطروق : بضم أوله المجيء ليلا ، قال الزهري : الطروق بعد العشاء وقال أبو داود : وبعد المغرب لا بأس به ، سنن أبي داود ــ باب في الطروق ــ : ٣/٩٠ .

(٤) صحيح البخاري ــ باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم : ٣/٥٠ .

(٥) الشعثة : المغبرة الرأس ، المنتفة الشعر ، اللسان " شعث : ٢/١٦٠ .

(٦) المغيبة : التي غاب عنها زوجها . (٧) صحيح البخاري ــ باب طلب الولد ــ ٣/٥٠ ــ ٥١ .

التنظيف والتزين المطلوب من المرأة ، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما "[١].

فعلى المرأة الواعية أن تثقف نفسها في مثل هذه الأمور ، وتقرأ المجلات الطبية ، وتستشير الطبيبات الموثوق بهن إذا عرض لها عارض ، وعليها ألا تلجأ إلى المعالجة الوقتية مثل استعمال الكريمات والعطور بل عليها أن تركز على النظافة الداخلية أولاً ، وتهتم بالأساس وبعد ذلك لها أن تتزين وتتعطر كيف شاءت .

وقد كان العطر الحقيقي للمرأة ، وما يزال ـ الماء والكحل ـ **فقد أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته ، فقال** : " إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب ، فإنه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء "[٢] ولما حمل الفرافصة بن الأحوص ابنته نائلة إلى أمير المؤمنين عثمان ﷺ وقد تزوجها ، نصحها أبوها بقوله : " يا بنية إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هنَّ أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عنّي خصلتين : تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن[٣] أصابه مطر "[٤].

ومما أوصى به محمد بن عبد الله بن حسين ابنته قال : واعلما أن لن تسقط امرأة واظبت على ثلاث خلال : " الماء ، والسواك ، والكحل فعليكما بهن "[٥].

---

(١) نيل الأوطار : ٣٦٧/٦ .
(٢) نيل الأوطار : ٣٦٧/٦ .
(٣) الشن : القربة .
(٤) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني : ٣٤٩/١٦ .
(٥) بهجة المجالس : ٣٠/٣ ـ ٣١ .

حواء وقطار الزواج

الــزواج أولاً وأخيراً هو قدر الله ، وهو كما يقولون " **قسمة ونصيــب** " ، ولكنــه بمشيئة الله وإرادته .

ولكن هناك أسبــاباً يجب أن يتخذها العبد ، ويترك الأمر لخالق الأسبــاب .

والقضيــة التي أريد أن أطرحها وأناقشها مع بنات جلدتي قضية تحتاج إلى نوع من الصراحة ، وإلى قدرٍ كافٍ من الواقعية .

فالشــاب في بلدي ، ولظروف البلد الاجتماعية والاقتصادية نجــده مــهيأً للــزواج المبكر ، فهو يتزوج في سن العشرين أو أقل من ذلك في كثــير مــن الأحيان إلى جانب انصراف الشبــاب للــزواج من الخارج مع تضييق الخنــاق على الفتــاة في هذا الأمــر ، نتج عن ذلك جلوس الكثيرات في كنف عوائلــهن مع تأخر سن الــزواج ، ومع ذلك فإن طالبي الفتاة وإن قلّوا ما زالوا يطرقــون بابها بين الفينة والفينة ، ولكن مع اختلاف المقاييس التي كانت تحلم بها !!!

فماذا عساها أن تفعل حين تغيرت الموازين ؟!!

هل ترفضهم جرياً وراء أحلامها وخيالها ؟!!

أو تعي واقعها وتتنازل عن بعض أحلامها بما يتناسب مع شخصيتها ؟!!

وأقــول تتنازل عن بعض أحلامها ولم أقل عن الحقائق التي تكفل لها العيــش السعــيد .

فالمتقدم في هذه السن إما أن يكون مطلقاً ، ومعه عدد من الأولاد ، وإمَّا أن يكون أرملاً ومعه أيضاً عدد من الأولاد ، وإما أن يكون رجلاً معدداً ، ولا أنكر مشيئــة الله في أن يكون رجــلاً بكراً خالياً من ذلك كلــه ، فالرسول ﷺ تزوج

بالسيـــدة خديجـــة وكانت ثيباً وتكبره بخمس عشرة سنة ، ولكن أنا هنا أتحـــدث عن واقعنا اليوم وعن الأعم الأغلب فيه .

فعلى حواء ..

أن تكون واقعيـــة ، وأن تختار من هؤلاء من هو كفء لـــها فـــي الديـــن والخلق ، ومن هو مناسب لوضعها الاجتماعي والفكري والثقـــافي ، وأن تقترن به عن اقتناع تام لا تخفياً من نظرات المجتمع ، ولا هروباً من الألسنة الحداد . وهذا في رأي أفضل لها من سجن نفسها في قفص الأحلام السرابي .

ولكن حـــذار أن تأخذ الواحدة شخصاً لا تتوافق معه دينيــــاً أو اجتماعيـــاً ، أو فكرياً من أجل إرضاء عيون المجتمع الساخطة .

فإن لم يقض الله لها بعد بذل كل المحاولات التي فـــي وســـعها وطاقتـــها ، فلترض بقضـــاء الله وقدره ولتكن من الصابرات ، وتحذر من إغواء الشـــيطان لها ، وإغرائها بتلمس طرق الغـــواية من أجـــل الحصول على زوج ، ولتحافظ على دينها وسمعتها حتى تكون من النســـاء العفيفات المذكورات في القـــرآن ، فيكفيهـــا شرفـــاً أن تكون ممن ذكـــرن في كتـــاب الله تحت قـــوله تعالى :

﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾[1] .

ولتصرف بعد ذلك طاقتها ووقتها بما يعود عليها وعلى مجتمعـــها وأمتـــها بالخير والمنفعة .

---

(١) سورة الأنبياء : ٨٢ .

حواء زوجة الأب

لقد تكفَّل أدب الأطفال بجميع أنواعه بتغذية روح الكراهة في نفس الطفـــل تجاه زوجـــة الأب ، فقصة السندرلا ، وقصة بيت السكر ، بل وكل القصـــص التي ترد فيها شخصية زوجـــة الأب صوَّرتها للطفل قاسية ظالمة متجبرة قـــد خلا قلبهـــا من كل رحمة ، وهكذا ترسبت هذه الصورة في نفوس أطفال العـالم أجمع جيلاً بعد جيل ، بل ترسبت في عقليات المجتمعات ، وهذا خطأ فادح يقـع فيه كتَّاب أدب الطفــل .

فالحياة الإنسانية على مر العصور تمر بها صور الخلافات بين الزوجين التـــي تنتهي بانفصالها ، أو يشاء الله رحيل الأم إلى الدار الآخرة ، فمن الطبيعـــي أن يبحث الرجل عن زوجة أخرى تعينه على تربية أولاده ، ولكن كثيراً مـــا يجـد الرفض حليفه ، **فحــواء** ترفض أن تكون زوجة أب خوفاً من كلام النـــاس ، فنجد بعضهن تشترط عليه إسكانهم في شقة منفصلة عنها ، ويجلب لهم خادمـــة تقوم بتربيتهم .

وكثيراً ما يضطر الرجل إلى قبـول مثل هذه الشروط بعد أن يكـــون قـد أضنـــاه التعب ، و في رأيي أن على الرجل مهما لقي من الصعاب والمتـــاعب أن يظل يبحث عن امرأة تقبل به وبأولاده حتى يضمن سلامة نفسياتهم ، وعـدم انحرافهم لا أن يفكر في متاعبه الشخصية ، ويحاول حلها بإيجاد زوجـــة لـــه ، بل عليه أن يجد الزوجة والأم معاً .

وحــواء التي ترفض الرجل الصالح صـــاحب الأولاد بحجـــة أنـــها لا تستطيع القيـــام بخدمتهم **أقــول لها** : اتق الله فيهم واجعلي عمـــلك هذا بـــاب

خير فتحه الله لك لتحصلي منه على أرفع الدرجات ، و أعظم الحسنات قال تعالى : ﴿ **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير** ﴾ (١) .

وامسحي من رأسك تلك الصورة المشوهة لزوجة الأب ، واثبتي للجميع أن المرأة التي تخاف الله وتتقيه ، وترجو الثواب منه هو لا من أحد غيره تستطيع أن تنشئ للمجتمع أبناء صالحين لم تلدهم هي .

وعلى المرأة أن تضع نفسها في نفس الظرف ، وتتخيل نفسها في نفس الموقف هب أنها تزوجت وأنجبت ، ثم لم يوفق الله بينها ، وبين زوجها ، أو أنها توفيت ، فأين يذهب أطفالها من سيعيلهم ؟؟ من سيربيهم ؟؟ أليست هي امرأة أخرى ؟؟ قال تعالى : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً** ﴾ (٣)

وقد أخبرنا المصطفى ﷺ عن رجل غفر الله له لإحسانه لكلب عطِش ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها ، فشرب ، ثم خرج ، فإذا الكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وإنّ لنا في البهائم لأجراً ، قال : في كل ذات كبد رطبة أجر** » (٤)

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٠ . (٢) سورة البقرة : ١١٠ . (٣) سورة آل عمران : ٣٠ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب في المظالم والغضب ، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذَّ بها : ١٧٣/٣ (اللفظ للبخاري) انظر كذلك : سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم :٣ /٥٠_٥١ ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الأدب، باب فضل صدقة الماء :١٢١٥/٢.

فما أعظم الأجر إن كانت هذه الكبد هي كبد طفل إنساني ، وعلى المـــرأة التي طلقت وتركت أبناءها للزوج أن تكون أماً واعية تعمل على صهر أبنائـــها في حياتهم الجديدة ، وتفهمهم أن ما جرى هو بتقدير الله ، وتحاول تحبيبهم فـــي زوجة أبيهم ، وأنها بمثـــابة أمهم الثـــانية ، وعليهم طاعتها ومحبتها ، وعليـــها أن تتصل بالزوجة الجديدة ، وتربط معها نوعاً من الصداقة ، وتعـــرف منـــها النقاط المزعجة في أطفالها حتى تستطيع توجيههم ، فبذلك تكون قـــد أراحـــت زوجة الأب من مشكلة تعنت الطفل ورد فعله العكسي تجاهها .

كما تحاول زوجة الأب أن تراعي نفسية الأطفـــال ، وأن تقـــدر موقفـــهم وبعدهم عن والدتهم ، وغرابة الموقف بالنسبة لهم ، فلتكن حكيمة صبورة ودودة حتى تستطيع أن تكسبهم إلى جانبها ، وتزرع محبتها في نفوسهم .

والأب له دور كبير في نجـــاح حياته الثانية ، فعليه أن لا يقحم أنفـــه فـــي كل أسلوب تربوي تتبعه زوجتـــه الثانية إذا ثبت لــــه وعيـــها ، ومراقبتـــها لله وخوفها منه .

وعليه ألا يشعرها بأنها ليست أمهم الحقيقية ، بل يتفاهم معها علـــى الأسـلوب الصحيح ، والطريقة السليمة في التربية حتى يستطيع الجميع أن يسير في الحياة الجديدة برضاء ومحبة .

❋ **وإنِّي لأذكر قصة فتاة مع زوجة أبيها هي قمة في الوفاء والإخلاص** ، فقـــد انفصل والدا الفتاة منذ صغرها ، فتربت في أحضان زوجة أبٍ حنـــون تخـــاف الله وتخشاه ، وفي رعاية أب كثير العيال قليل المال ، ومضت السنوات وتوفـــي الأب بعد أن بلغت الابنة أعلى مدارج العلم . وحصلت على مكانـــة اجتماعيـــة مرموقة ، فاتصلت بها والدتها الغنية تغريها بترك حياة الفقر ، وأن تعود لتعيش

في كنف العز والرفاهية ، ولكن كان جواب الابنة جواب الوفي الذي لا ينسى معروفاً ، فاعتذرت لأمها بلطف وأخبرتها أن أمها بالتربية وإخوانها من أبيها في أمس الحاجة إليها ، وهي تريد أن ترجع للمرأة جزءاً ضئيلاً من تضحياتها .

فسبحان الله لعل الخير يتجسد في أبناء الزوج أكثر من أبنائها ، ويكونون لها سنداً بعد الله سبحانه وتعالى .

أما إذا كان الأطفال ممن حرموا عطف وحنان الأمومة بمشيئة الله ، فهؤلاء أجرهم أعظم ، وثوابهم أكبر .

صحيح أن اليتيم في الحكم الشرعي هو الذي يترتب عليه أحكام قضائية ، وهو من فقد أباه قبل سن الرشد ، ولكن هذا لا يمنع من عد الطفل الذي فقد أمه يتيماً في الحكم الاجتماعي والإنساني والعاطفي .

ولا شك أن الأجر من تحسن إلى هؤلاء ، وتعطف عليهم ابتغاء وجه الله أجر عظيم وثواب وفير .

والمرأة الواعية التي تخاف الله ستظل معاملتها ثابتة لأبناء زوجها لا تتغير أبداً ، وإن أنجبت هي أطفالاً ، لأن مبدأها هو العمل الخالص لوجه الله تعالى .

حـواء والزوجة الثانية

تــزوج عليها زوجها دون أن يعلمها ، ودون أن تكـــون هنـــاك أسـباب واضحة لهذا الزواج !!

كانت نِعَمَ الزوجة المطيعة الحنون ، والأم الرؤوم ، تزوج عليها بعد زواج دام خمس عشرة سنة ، وبعد أن أنجبت منه خمسة أطفال ، صدمت للخبر ، شَلَّ عقلها عن التفكير ، لم تعد تعرف كيف تتصرف ، علم الأهـــــل والصديقــات بالخبر ، فأسرعن بكل شهامة ووفاء لمد يد العــون لـــها ، وإســداء النصـــح ، ومواساتها في مصيبتها ، الكل أخذ يحثها على أن تثـأر لكرامتها ، وأن ترمـي له الأولاد ، وتعود إلى بيت أهلها كما جاءت منه .

لِمَ يتمتع هو بحياته وشبابه وتظل هي تأكل الحصرم ، وتفني شـبابها فـي خدمة أبنائه ، إنها ما تزال شابة في الثانية والثلاثين من عمرها جميلة ، مثقفة ، فهي تستطيع أن تتزوج مثله ، وتبني حياة جديدة مستقلــة ، جمعـــت ملابســها وكل حاجياتهـــا ، وهمت بالخروج ، ولكن أوقفها صوت ابنتها الصغرى وهـــي تنادي مـــاما .. مـــاما أحضري لي معك حلوى حين قدومك ولا تتأخري أريــد أن أراك قبل أن أنام .

وقفت تتأمل ابنتهـــا وهي تبتسم في براءة ، وتقذف لها بالقبلات الحــارة ، ثم أخذت تجري وارتمت في أحضانها ، رفعت وجه ابنتها إليها تتأمله ، وأخذت عواطف الأمومة تتدافع إلى قلبها الذي انطفأ في لحظة تهور وغضب .

مـــا ذنب هذه الطفلة المسكينة ؟! ومـــا ذنب إخوانها الآخرين ؟! لمن تتركهم ؟! إلى الأيام تضرسهم !! إلى الأحزان تمزقهم !!

أطل زوجها من غرفته .. التقت نظراتهما ، تذكرت أنه لم يكن سيئاً معها ،

ففيه كثير من الخصال الحميدة التي قلما تجتمع في رجال اليوم ، فهو فوق ذلـــك كله يخــاف الله ويخشـــاه ، إذاً لن يهضمها حقها ، فما المانع في أن تعيش مــع أولادها تحت سقف واحد تغدق عليهم من فيض حبـــها وحنانـــها ، فينشـــاؤون أسوياء يستفيد منهم دينهم ومجتمعهم ؟!!

لمَ لا تكيف نفسها مع الوضع الجديد؟!! من أجـل دينـــها الـذي يطـالب بإكثار أمة محمد .. من أجل بسمة أولادها .. ومن أجل نفسياتهم .. ومن أجـــل نفسها التي بنت قيماً ومبادئ في نفوس بشرية لمدة خمس عشرة سنة .

لمَ لا تواصل المسير بثقة وصبر ؟!! لتدحر عيون الشامتين والشـــامتات .. وهبي أن الزوج لم يكن عادلاً ولا منصفاً .. وقد أضاع كثيراً من حقوقـــها بمـــا يفتيه لنفســـه وبالمخارج التي يجدها لهواه معتمـــداً علـــى أحـــاديث ضعيفـــة .. وأقوال واهية .. ليبرر موقفه وتقصيره .

فما عسى حـــواء فـــاعلة ؟! وأي نهج ســـالكة ؟!

انهجي نهج الصابرات المحتسبات للأجر ، واعلمـــي أن هـــذه الدنيـــا دار امتحـــان وبلاء ، وأنه لابــد لك من أن تضحي ، لأن طبـــع المـــرأة الوفـــاء والتضحية وإنكار الـــذات .

أما سلوك زوجك غير العادل ، فلا تنزعجي له ، لأن هناك عينـــاً لا تغفـــل ولا تنام ترقب أحوال العباد ، وتجازي كل مخلوق على عمله ، فإن ضاعت لـــك حقوق في الدنيا فهي محفوظة لك في الآخرة .

وللأسف يخطئ كثير من النساء التصرف إذا ما تزوج عليهن أزواجـــهن ، فيثرن ثـــورة وهميـــة يشعلها الشيطـــان الذي يتفانى في التفريق بين الزوجـــين قال ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سرايـــاه ، فأدناهم منه**

منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكـــذا ، فيقــول : مــا صنعت شيئاً ، قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبيـــن امرأته قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت ، قــال الأعمـــش : أراه قــال : فيلتزمه»[1] .

إذاً .. هم الشيطـــان الأول والأخير تفكيك الأسرة المســـلمة ليتفكـك المجتمـع ويضيع الدين .

ولكم أعجبتني تلك الأخت التي علمت بزواج زوجها ، فعالجت الموضـــوع بكل صبر وهدوء ، ولم تدع فرصة لأي متطفل أن يقتحم أنفه في حياتها ، ولـــم تسمح لأي عين فضولية أن تلج إلى جنتها ، ولم تشعر أطفالها بأي تغيير غـــير طبيعي في حياتهم حتى لا تتكدر نفوسهم .

فإذا ما سألها لسان ثرثار عن وضعها مع زوجها حمـــدت الله ، وذكـــرت للجميع أنها قد تفاهمت مع زوجها على كل أمر ، وهي على أتم وفـــاق معـــه ، وبهذا الجواب أخرست كل الألسن ، وأغمضت كل العيـــون .

---

(١) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ــ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة النـــاس وأن مع كل إنسان قريناً : ٤ / ٢١٦٧ وانظر كذلك : مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣ / ٣١٤ .

الغيرة الحمقاء

الغيرة في الحياة الزوجية أمر مطلوب من كلا الطرفين ، فهي دليـل علـى الحب ، وتعلق كلا الطرفين بالآخـر ، فهي تشعر الطرف الآخر بمكانته ورفيع قدره مما يثري العلاقة الزوجية وينميها ، ويحررها من قيود الجمود والرتابـة ، فهي عنصر تجديد يضفي نوعاً من الحيوية على الحياة .

هذا إذا كانت الغيرة تسير في مسارها الطبيعي ، أما إذا تعدته إلـى تكبيـل الطرف الآخر بالقيود ، والحد من التصرفات الشخصية ، والسـؤال عـن كـل كبيرة وصغيرة ، وأخيراً الوصول إلى مرحلة الشك هذه المرحلة المَرَضِيَّة التـي تدفع صاحبها إلى تتبع العورات ، فيتحرك الخيال المريـض ، ويمـد صاحبـه بصور وهمية ليس لها أساس في الواقع ، لذا نهى الرسول ﷺ المسـلم إذا كـان مسافراً ألاَّ يدخل على أهله إلا بعد أن يستأذنهم حتى لا يستغل الشيطان الغـيرة استغلالاً سيئاً فعن عبد الله بن عمر: ((**أن رسول الله ﷺ نزل العقيـق ، فنـهى عن طروق النساء الليلة التي يأتي فيها فعصاه فتيان فكلاهما رأى ما يكره**)) .[1]

وقـال أحد الشعراء مصوراً الغيرة وأبعادها :

ما أحسن الغيرة في حينهـا ... وأقبح الغـيرة في كُلِّ حينِ
من لم يزل مُتَّهمـاً عِرْسَـه ... مُتَتَبعاً فيها لِرَجْمِ الظنـونِ
أوشك أن يُغريهـا بالـذي ... يخاف أو ينصبها للعيـونِ
حسبك من تحصينها ضمُّهـا ... منك إلى عِرْض نقي ودينِ
لا تطلّع منـك على ريبـة ... فيتبع المقرون حبل القرينِ

---

(١) رواه أحمد ، مسند عبد الله بن عمر : ١٠٤/٢ .

وكثيراً ما تقع **حـواء** نتيجة عاطفتها الفياضة في شباك مرض الغـــيرة ، فما أن تتبس شفاه آدم باسم امرأة عفواً ، أو في موضوع عارض حتـــى يصـــور لها خيالها المريض أن هناك علاقة قائمة بين صاحبة الاسم ، وبيـــن زوجـــها ، وتبدأ في تصيد حركاته وسكنـــاته ، ويبدأ القلـــق النفســـي والـــهاجس الفكـــري يسيطران على تصرفاتها ، وتبدأ في التحقيقات الرسمية ، والاتهامات الصريحـــة لزوجها وعفتـــه .

وأمام هذه الغيرة العميـــاء يشعر آدم بأنه ســـجين محـــاصر ، فيحـــاول أن يحرر نفسه بالهروب من هذا الجحيم ، وبذا تكون **حـواء** قد هدمـــت بيتـــها ، وحرمت نفسها من السعادة التي كانت تصبو إليها .

وصدق المثل العربي القـــائل : " غيرة المرأة مفتاح طلاقها " .

ويصور لنا المصطفى ﷺ المرأة الواقعة تحت سيطرة الغيرة فيقـــول : « **ومـــا تدري الغيراء أعلى الوادي من أسفله**»[(١)].

وتعتقد المـــرأة التي تصيد خطوات زوجها أن الفضل في هذه الغيرة يعـــود إلى ذكـــائها ، وما درت المسكينة أن ذكـــاءها هو أول من يفر منها إذا اشـــتدت غيرتهـــا .

وفي هذا المعنى قـــال بونسليه : " الغيرة إنها تلك الصخرة التي يتحطم عندهـــا ذكاء المرأة " .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بنحوه كما في كنزل العمال . (١٣٥٠٨) .

كيف تكسبين حماتك؟؟

إن قصص الحموات مع زوجات الأولاد قــــد مـــلأت صفحـــات الجرائـــد والمجلات ، وملأت شاشات الفيديو والتلفاز ، وكان الهـــدف منـــها هـــو إثـــارة الضحك ، وإشاعة روح الفكـــاهة بين الناس عن طريق المقالب التي تخترعـــــها الحماة لزوجة ابنهـــا .

ولم يقصر الأدباء والفلاسفة في مختلف البلدان وعلى مر العصور فـــي تشـــويه صورة الحمـــاة ، وسموها حكمة ، وماهي في الحقيقة إلا أقوال لم تحتكـــم فـــي شيء إلى المنظور الإسلامي .

ومن ذلك قـــول أنيس منصور : " الصحـــافة مهمتها البحـــث عـــن المتـــاعب وكذلك حمـــاتك " .

وقـــال مصطفى محمود : " الحمـــاة أقدم جهاز مخابرات في العالم " .

وقـــال شوبنهاور : " الحمـــاة هي العدوى الوحيدة التي يجلبها الزوج " .

وقـــال أحدهم : " السمك وحمـــاتك تظهر لهما رائحة بعد ثلاثة أيام " .

وهناك مثل إيطالي يقـــول : " يستحيل على المرأة أن تعمل بنصيحة حماتها " .

ولا يتورع بعض الناصحين والناصحات من تلقين العـــروس **المثـــل المصـــري القـــائل :** " الحمـــاة حمىً .. وأخت الزوج عقربٌ سمٌ " .

وينسب بعضهم سبب ارتفاع نسبة الطلاق إلى الحمـــاة ، ومنهم من يحســـد آدم عليه السلام لأنه لم تكن له حماة ، **قال أحدهم :** " كان آدم أسعد الناس حظـــاً إذ لم تكن له حمـــاة " [١]

---

(١) قالوا في المرأة :٢ / ١٣٢ـ١٣٣ .

وبهذا كله انطبع في النفـوس مقت الحمـاة وكرهها ، فأصبحت العـروس لا تدخل بيت الزوجية إلا وهي تضع في ذهنها الطرق التي يجب أن تسلكها مـع حماتها حتى تتقي مكايدها ، وكأنها ستدخل حلبة مصارعة ، وتظل تترصد كـل كلمة تتفوه بها حمـاتها ، وتتصيد أي حركـة تقـوم بـها ، وتحبـك حـولها القصص والحكـايات التي ترويها على مسامع أمها أو صديقاتها ليساعدنها فـي الكيد لتلك الحمـاة .

ومن هنا تنسج خيوط الكراهية بينهن ، وتترسب البغضاء فـي النفـوس ، وتزرع الحزازات في الصدور ، وتحل القطيعة بين الأسرة بكاملـها ، وتكـون نتيجتها عقـوق الوالدين ، يتبع ذلك رحيل البركة والخير من البيت .

❋ رحم الله تلك المرأة العـابدة التي كانت تحث زوجها على طاعة أمه فتقـول له : " أقسمت عليك أن لا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسـمت عليـك أن لا تدخل النار من أجلي ، بر أمَّك ، صل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك " .(١)

فإذا أرادت **حـواء** أن تقي زوجها حرَّ جهنم ، وتأخذ بيده إلـى دار الجنـان ، وتضمن لبيتها السعادة والبركة الدائمة فعليها :

◆◆ **أن تطرد من مخيلتهـا** تلك الصورة المشوهة للحمـاة ، وتضع في نفسـها أنَّ أم زوجها هي بمثابة أمها ، فإن أخطأت عليها يوماً فلتعاملها بمثل ما تعـامل به والدتها إن أخطأت في حقها .

◆◆ **وعليها ألاَّ تقص** على زوجها كل ما يقع بينها وبين أمـه وهـي تتبـاكى وتذرف الدمـع السخين ، حتى تستميل قلبـه إليها ، وتكسب ودَّه ، ويصور له

---

(١) صفة الصفوة : ٤٣٧/٤ .

الشيطان أمه ظالمة مستبدة ، فيزحف الجفاء إلى نفسه ، ويسير في طريق العقوق .

◆◆ **إن رأت حواء قصوراً** في معاملة زوجها لأمه ، فلتكن مرشد خير له ، فتحثه على طاعتها ، وأن تلح عليه في زيارتها والتودد إليها .

◆◆ **حواء الواعية** لا تتدخل فيما يقدمه زوجها لأمه وما يهبه لها ، بل تساعده على أن يكثر لها العطاء ، وتحاول هي أن تهديها هدايا قيمة وجميلة بين حين وآخر .

◆◆ **إذا ذهبت لزيارة حماتها** تحرص كل الحرص على أن تأخذ معها طبقاً شهياً ، وترفض أن تكون ضيفة ثقيلة يتبرم من حضورها مستقبلها .

◆◆ **حواء الذكية** هي التي تستطيع أن تأسر قلب حماتها بحسن معاملتها وظرف أخلاقها فإذا كان لدى حماتها مدعوون على الطعام تتفانى في مساعدتها لا أن تجلس وكأنها ضيفة الشرف !!

وهي تحرص دائماً على تعليم أولادها احترام حماتها وطاعتها ، وتغرس المحبة والودّ لها في قلوبهم ، وتعودهم على زيارتها ولا تحرمها منهم : " فليس أغلى من الولد إلا ولد الولد " .

◆◆ **وهي التي تعلِّم أولادها** آداب زيارة الجدة وخاصة إذا كانت كبيرة السن ، فلا تدعهم يزعجونها بأصواتهم وحركاتهم ، وتعودهم على عدم إلقاء القاذورات وأوراق الحلوى على الأرض ، أو العبث بديكور المنزل ، بل لا تدعهم يخرجون من المنزل حتى ينظفوه ويرتبوه ، فبذلك تتمنى الحماة زيارتهم كل يوم وتلح عليهم في تكرارها .

◆◆ **إذا تزامن على الزوج طلب حواء** مع طلب حماتها ، فما عسى

حـــواء فـــاعلة ؟؟ هل تقلبين البيت إلى جحيم حتى يتحقق طلبك قبل طلبـــها ؟؟ أم تقدمين طلبها على طلبك !!

إذا كنت حقـــاً راجحة العقـــل فقدمي قضاء حاجتها على حـــاجتك راضيـــة غير متذمرة ، وإياك وإشعال نار الغضب ورفع راية القطيعة بينك وبين زوجـــك من أجل هذا التقـــديم ، فإن حمـــــــاتك إذا رأت منـــك هـــذا التنـــازل ، وهـــذا الاحـــترام ، فإنها بلا شك ستتنازل عن أشياء كثيرة فيما بعد ، ويكفي أن قلبهـــا سيحمل لك كل تقدير وامتنان وستذكرك بكل أمر جميل أمام زوجك مما يعمـــق المحبة في نفسه ، ويسعى جاهداً إلى إرضائك وإذا ما حصل سوء تفاهم بينكمـــا فإن حمـــاتك ستنصب نفسها محـــام لك يدافع عنـــك ويخمـــد نـــار الغضـــب المتـــأججة في قلب زوجك ، فيعود لك وقد سكنت نفسه وهدأت روحه ، وحنـــت نظراته .

فـــالزوج يـــا حـــواء يشعر بتقدير لزوجه كلما وجدها قريبة من أمـــه وأهلـــه محـــبوبة لـــديهم .

كيف تعدين أبناءك للزواج المبكر ؟؟

لقد دارت كثير من المناقشـــات ، وأدليت كثير مـــن الآراء حـول الســن المناسبة لــزواج الفتى والفتاة ، فمن قائل أن الــزواج في سن مبكـــرة أفضــل بكثير من الــزواج في سن متأخرة وذلك لأسباب دينية ونفسية وصحية .

ومن قائل أن الــزواج في سن متأخرة أفضل ، لأن نضوج الشخص عامل كبـير من عوامل الاستقرار الأسري .

ولكن يبدو لي أنّ السن ليست هي المقياس الصحيــح للـــزواج النــاجح ، فهناك زيجــات كثيرة ترفرف عليها أجنحة السعادة على الرغم من صغر ســن الزوجــين ، وهناك زيجــات أخرى أيضاً تظهر علها بشائر السعد على الرغــم من أن الــزواج تم متأخراً .

إذاً السعــادة الزوجيــة الحقــة تكمن في نضوج الزوجــيــن دينيــاً وعقليــاً وجسمياً ونفسياً .

فإذا رام الوالدان تــزويج أبنائهمــا في سن مبكرة عليهما بتربيتـــهم تربيــة تمكنهم من تحمل مسؤوليات هذه الحياة ، وتوجيههم إلى متطلباتها .

فالأم إذا أرادت تــزويج ابنتها صغيرة السن عليها توجيه تفكــير ابنتــها منــذ الصغر إلى الاهتمام بالبيت والأولاد ، فتحضر لها من ســن الثالثــة الدمــى لا لمجرد أن تلهــو بها ، بل لتعليمها كيف تعتني بالطفل ، وكيف تقـــوم بــترتيب منزل الدمى وتنظيفه ، وعليها أن تكلفها بــترتيب ســريرها ، حتــى إذا بلغــت السادسة كلفتها بترتيب الغرفة وترتيب خزانة ملابسها ، وطلبت منها مســاعدتها في أعمال المنزل الأخرى كتحضير مائدة الطعام وحمل الأطباق ، وهكذا تتدرج الأم في تحميل ابنتها المسؤوليــة أكثر فأكثر كلما خطت قليلاً في الســن ، ليتم

الارتباط والتآلف بين الفتاة وبين المنزل ، ولعـــل فـــي الإجـــازات الأســـبوعية والسنوية ما يكفل ممارسة هذا النشاط بجدية أكثر .

كما أن على الأم أن تعد ابنتها للحياة الزوجيـــة وتقـــوم بإفهامـــها الحقـــائق والأسرار المتعلقة بهذه الحياة على حسب سنها وأول خطوة تكـــون قبـــل ســـن البلوغ ، فتفهمها كل ما يتعلق بالدورة الشهرية بطريقة علميـــة ، وتسـهل لـــها الأمور وتخلع عن هذه المسألة رداء الرهبة وتظهرها على أنـــها أمـــر طبيعـــي يحدث لكل امرأة ، حتى إذا بلغت الفتاة ورأت دماء الطمث لا تصـــاب بـــالذهول والخـــوف والرعب ومن ثم الانطواء والخجل إلى غير ذلك من مردودات نفسـية سيئـــة تؤثر على حياتها المستقبلية ، والأهم من ذلك أن هذا الأمر مرتبط بـــأمور تعبدية كالصـــلاة والصـــوم .

فإذا لم تكن الفتـــاة عرفت مسبقاً أحكام العبادة في هذه الفترة فإنها قد تفـــوت صلاة أو صياماً .

وينبغي على الأم ألا تعتمد في أمر توعية ابنتها في مثل هذه المسائل علـــى الدروس التي تشرح لها في المدرسة فقط ، فقد يدور ســـؤال فـــي ذهـــن الفتـــاة تتحرج من سؤال مدرستها عنه ، أو قد تكون المدرسة ذاتـــها خجولـــة فتطـــوي بعض المفـــاهيم .

ولكن الأم الصديقـــة تستطيع أن تبعث في نفس ابنتها الاطمئنان والثقـــة مما يدفعها إلى إلقاء السؤال تلو السؤال وخاصة إذا وجـــدت تفاهمـــاً مـــن الأم وإجابة تشبع ما بداخلها .

ومن الجهـــل المطبق أنَّ كثيراً من الأمهـــات يشعرن بالحرج الشديد إزاء تفهيم بناتهن هذا الأمر السهل ، وحجتهن أن الأيام كفيلة بتعليمهن ، وأنهن قـــد

مررن بنفس الأمر دون أن تقوم أمهـاتهن بتفهيمهن ، وسارت حياتهن علـى مـا يرام .

ولمثل هـؤلاء أقـول : إن حياة اليوم غير حياة الأمـس فالانفتـاح الحضـاري والإعلامي بوجه خاص يوجب على كل أم واعية وحريصة على أبنائها أن تجعـل من نفسها رقيباً سرياً ترقب كل شاردة وواردة ، وتصحح علـى إثرهـا المفـاهيم الخاطئة ، لأن أي معلومة خاطئة تترسب في ذهن أبنائها سيكون لها أثرها السـلبي على حياتهم المستقبلية .

وثاني الخطوات التي تعمل على نضوج الفتـاة ، وتنميـة إدراكـها للحيـاة الزوجية تأتي قبل الـزواج ، فتقـوم الأم باطلاع ابنتهـا على كل ما يتعلق بـهذه الحياة من أسرار وخفايا عن طريق المناقشات ، وعن طريق تقديم الكتب العلميـة والدينية الموثوق بها ، فمهمة الأم لا تقتصر على النصائح التي تتعلـق بالمـأكل والمشرب والمظهر الخارجي والمعاملة الظاهرية فقط .

فإذا ما أتمت الأم مهمة تدريب ابنتـها وتثقيفها ولمست فيها النضوج الكـافي الذي يساعدها على تحمل أعباء الحياة الزوجية حق لها أن تزفها إلى الشاب الـذي يخاف الله ويتقيه وهي مطمئنة على قدرة ابنتها على التكيف مع الحياة الجديدة .

ومن الخطـأ كل الخطـأ أن تدلل الأم ابنتها منذ الصغر ، وتـهمل تعليمـها الشؤون المنزلية بل تعتمد على الخادمة فقط ، مع إهمال تبصيرها بحقائق الحيـاة الزوجية ونراها تزفها إلى أول طارق ، فتفاجأ الفتـاة بتلك الحياة ، وتشعر بثقلـها وكبر مسؤوليتهـا ، وتحس بالعجز عن القيام بمتطلباتها ، فتزحف المشكلات إلـى حياتها زحفاً يؤدي بها إلى الفشل .

وكذلك الفـتى يجب أن يتربى منذ نعومة أظـافره على تحمـل المسؤوليـة

فيسند إليه والده بعض المهام الأسرية كقضاء المشتريات المنزلية ، وإحضار المهندس إذا تلفت في المنزل آلة من الآلات ، والوقوف معه ، ليتعود على الاحتكاك العملي ويكتسب الجرأة .

وعليه أيضاً أن يتحمل مسؤولية أخواته الإناث ، وإحضار طلباتهن ومساعدتهن.

ومن أهم المسائل وأعظمها تعليمه فن معاملة الإناث ، والرأفة بهن ، وتبصيره بحقيقة معنى الرجولة ، وأن ليس معناها السيطرة والتسلط ، بل معناها القدرة على تحمل المسؤولية والقدرة على حماية المرأة ، والقدرة على تفهم المرأة ومعاملتها بالحسنى ، وكريم الأخلاق .

ولا بد من تعويد الفتى منذ صغره على جمع ما يتبقى من مصروفه ، وإرشاده إلى طريقة الجمع السليمة ، وكيفية التنمية الصحيحة ، حتى يشعر بنوع من الاستقلال الاقتصادي .

وفي المرحلة الدراسية المتأخرة لا بد أن يكون لديه مورداً خاصاً للمال وإن كان ضئيلاً ، ليسانده على إقامة بيت أسري حتى وإن كان الأب ميسور الحال ، أما ما يقوله المؤيدون للزواج في سن مبكرة من اعتماد الفتى على والده الميسور الحال وأن الوالد هو المكلف بالإنفاق عليه ، فيبدو لي أن هذه الطريقة تجعل الفتى يعتمد اعتماداً كلياً على والده ، فلا يعرف قيمة الأسرة ولا يشعر بحرمتها ، لأنه لم يتحمل عبئها ولم يكدح في بنائها فمن السهل عليه إذاً التفريط فيها لأول عقبة تقف في طريقه .

صحيح إنّ آباءنا تزوجوا في سن مبكرة ولكنهم اعتمدوا على أنفسهم في تكوين أسرهم فشعروا بقدسيتها ووعوا حرمتها .

أخطاء في التربية

هناك بعض الأمور التربوية لا تلقي إليها حواء بالاً ، ويكون لهذا التفويت أثرٌ بالغٌ على سلوك الطفل !!

من تلك الأمور ترك الطفل وهو في سن واعية ينام مع والديه في غرفتهما .

ويعتقد الوالدان أن طفلهما غير مدرك لبواطن الأمور لصغر سنه فيقومان بممارسة علاقتهما الطبيعية في وجوده ظناً منهما أنه مستغرق في النوم .

أليس من المحتمل أن يستيقظ الطفل من نومه لأي سبب من الأسباب ؟؟ ولكن يبدو أن بعضهم يتبع هذا الأسلوب على سبيل العادة الموروثة من الأهل ، وبعضهم يتبعه تأثراً بالأفكار الغربية التي تنادي بضرورة معرفة الطفل بما يجري بين والديه حتى يشعر بالاطمئنان ـ على حد زعمهم ـ وحتى يدرك حقيقة العلاقة بينهما حتى لا يتأثر نفسياً ، فهم ينادون بسياسة الباب المفتوح بمعنى أن يتعمد الوالدان ترك باب غرفتهما مواربا حتى يدخل الطفل ويرى بعينه حقيقة ما يجري فيصبح الأمر لديه طبيعياً .

وبلا جدال فإن هذه المفاهيم خاطئة ، ولها آثارها الوخيمة على الطفل ، وقبل هذا وذاك فهي بعيدة عن التعاليم الإسلامية ، فالله سبحانه وتعالى قد أمرنا بتعليم أطفالنا آداب الاستئذان ، قال تعالى في سورة النور : **﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾**[١] .

---

(١) سورة النور :٥٩ .

وهناك بعض الأمهات ممن تأثرن بالفكر الغربي ، يحــاولن تقليد بعض اللقطات السينمائية أمام أطفالهن متجاهلات ذكاء الطفل ، فتسمح للأب بتقبيلها أو لمســها أو المزاح معها بطريقة ملفتة لانتباه الطفل ، وكم من مرة ســمعنا فيــها طفــلاً يحدث مندهشاً أن أباه قد قبّل أمه .

ويبــدو لي أن مثل هذه العــلاقات يجب أن تغطى برداء الحيـــاء حتــى يحفظ الوالدان هيبتهما ووقارهما أمام أطفالهما .

حواء العاملة

إن قضية عمل المـرأة قضية شائكة جـداً ، لأن لـها آثارهـا الإيجابيـة والسلبية على الأسرة والمجتمع ، وتتحدد هذه السـلبيات والإيجابيـات بحسـب الظروف المحيطة بالمـرأة .

وأنا هنا أتحدث عن عمل المرأة داخل الأطر التي رسمها الإسلام وحددها . لقد أصبح عمل المـرأة اليوم في نظر الكثيرين ضـرورة اجتماعيـة حتميـة ، وأصبح مقصد الكثيرات من العلم هو الحصول على الشهادة للولـوج بـها إلـى ميادين العمل ، وأخذت المـرأة تعمل لتهرب من كلمة " **ربة المنزل** " وكأن هـذه الجملة وصمة عار تذكرها بعصور الجهل .

رأت المـرأة في بلدي أن كل نساء العالم قد خرجـن للعمـل ، فـأرادت تقليدهن دون أن تنظر إلى الظروف المحيطة بها .

وأنا لا أدعو في حـديثي هذا إلى الجلوس المطلق في الـدار ، ولا أدعـو أيضاً إلى الخروج المطلق من الدار ، إنما أقصد جعل أمان الأسرة واسـتقرارها هو الحد الفاصل للعمل .

فإذا استطاعت المـرأة أن تؤدي كل حقوقهـا وواجباتـها المنزليـة علـى أكمل وجه وأصدقه ، وبقي لديها مزيد وقت ـ وقلَّ ذلـك ـ يمكنـها أن تفكـر حينئذ في العمل المناسب الذي لا يتعارض مع واجباتها الأسرية .

ولكن الحقيقة التي لا يغفل عنها غافل أن سلبيات المـرأة العاملـة تفـوق إيجابياتها ، وهذه الحقيقة تنطق بها كل امرأة عاملة فـي لحظـة مـن لحظـات الصدق ، ولكن مهما تحدث المتحدثون عن سـلبيات المـرأة العاملـة يبـدو أن المـرأة انبهاراً بالحضارة الزائفة البراقة وجرياً خلف سراب التقدم قد صمَّـت

آذانها ، وغلّقت قلبهـا ولم يبق أمامنا إلا أن نجد بعض الحلول والمخارج التـي قـد تخفف ـ ولا تزيل ـ وطء المصاب ، فهناك حلول خاصة وحلول عامة .

فمن الحلول الخاصة :

١ـ التحقق من رضاء الـزوج رضاءً قلبياً تاماً ، وليس رضاء قسر وإجبـار ، وأقصد برضاء القسر هو أن يكون الزوج مجبراً على الموافقة وفاءً بشرط كتب في عقد الزواج ، فتظل المرأة تذل الرجل بهذا الشرط كلما حـاول أن يثـنيها عن عزمها لقصور رآه منها ، وتذكره بتحدٍ " إن هذا الشرط في العقـد ، وقد وقعت عليه بالموافقة " !!

صحيح إنه شرط عليه ، ولكن إذا رأى الرجل من المـرأة تقصـيراً فـي حقوقه وواجبـاته حق له أن يلغي ذلك الشرط ، ولها بعد ذلك الخيار بين العيش في كنفه ، وتحت طاعته ، وبين الدراسة والعمل .

وأقـول : إن رضاء الزوج رضاء اقتنـاع يذلل المرأة كثيراً مـن العقبـات ، فهو سيغض الطرف عن كثير من الأمـور ، وسيقوم هو بمساعدتها ، ويخفـف العبء عنها .

أما إذا لم يكن راضياً فإنه سيصبح حجر عثرة في طريقها وسيحاسبها علـى كل صغيرة وكبيرة مما يؤثر على حياتها الأسرية وحياتها العلمية والعملية .

وكم من البيوت هدّمت بسبب عدم رضاء الزوج .

فالمـرأة الحكيـمة هي التي تنظر إلى مصلحـة بيتها وأولادها قبل كـل شيء ، هذا إذا كان الزوج زوجاً مطيعـاً لله منفذاً لأوامـره ، يتحلـى بكريـم الأخلاق ، وحسن المعاشرة ، أما إذا كان زوجاً سيئ الخلق عاصياً لله لا تـأمن **حـواء** استمرار الحياة معه ، وتتوقع الانفصال عنه في أي لحظة ، فعليها أن

تعض على عملها أو علمها بالنواجذ ، وتسعى جاهدة في الاستقلال بشخصيتها حتى إذا حدث ما تخشاه استطاعت أن تواجه المصائب بقلب جسور ، وبنفسية مهيأة لمواجهة صفعات الحياة .

٢ ـ **الأمر الثاني الذي يجب أن يتوافر للمرأة العاملة** هو وجود يد أمينة ترعى أطفالها في ساعات غيابها كأمها ، أو أختها ، أو أم الزوج ، أو أخته ، على أن يكنَّ راضيات رضاء محبة ومودة لا رضاء حياء و لا مجاملة ، فبعض الأمهات أو الأخوات قد يغلبهن الحياء فيوافقن مرغمات ، وقد تلمح الأم العاملة سحنة الضيق التي تكسو الوجوه ، ولكنها تتغاضى وتتجاهل ، وتكون بذلك قد كلفت غيرها بما لا يطيق ، و قد تضطر المتكلفة إلى التصريح أو التلميح من وراء ظهرها ، أو أمامها بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها ، وبيان مساوئ الأم العاملة ، هادفة إلى إشعار هذه الأم بحقيقة الوضع لعل ذوقها يتنبه ، وإحساسها يستيقظ ، ولكن تشبثها بالعلم ، وجريها اللاهث خلف العمل أعماها عن رؤية الحقائق ، وأصمها عن سماع كلمة العدل ، وانجرافاً مع هذا التيار نسيت التمثل بخلق المصطفى ﷺ فقد كان ﷺ يحب أن يقوم بجميع أعماله بنفسه فكان يخدم نفسه ، ويخصف نعله ، ويفلي ثوبه ، فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها : « **ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته قالت : كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه** »[١].

وفي سلوكه هذا حث للإنسان على الاعتماد على نفسه في قضاء حوائجه ، وعدم تكليف أحد بها ، وإن كانت تلك الحاجة لا قيمة لها ، لأن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ، وصححه الألباني ، انظر : مسند الإمام أحمد : ٢٥٦/٦ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢٨٠/٢ حديث رقم ٦٧٢ ، صحيح الجامع الصغير : ٢٧٣/٤/٢ رقم ٤٨٧٢ .

الاعتماد على الغير يعوّد المرء على ذل السؤال ؛ ولأن النفس الإنسانية تمل وتتعب من كثرة الطلب والتكليف ، فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بتربية إنسان ورعايته ، وهو في أحوج سنوات عمره ، هذا إلى أن أسلوب التربية يختلف من الأم إلى الجدة ، فالجدات من عادتهن تدليل الأحفاد لفرط محبتهن ، إلى جانب أن الجدة ــ جزاها الله خيراً ــ قد ربت وقامت بواجبها على أكمل وجه ، وأتم أداء ، فآن لها أن ترتاح ، وتتمتع بثمرة تعبها وحصيلة جهدها ، فترى أحفادها يحفّون حولها يسلونها ويسرون عنها لا أن تظل تحمل همهم ليلها ونهارها .

وهذا الحل وإن كنت لا أستسيغه ، ولا أحبذه إلا في أحوال ضيقة ومحدودة ، ولكنه في نظري أخف الضررين ، فهو أخف من رمي فلذات الأكباد في أحضان الخادمات ساعات طوال ، وهذه أولى سلبيات المرأة العاملة وأفدحها ، فهي تضطر طائعة إلى قذف جوهرة فؤادها في يد خادمة تجهل بيئتها وأخلاقياتها ، وتصبح الخادمة في غضون يوم وليلة هي الأم الفعلية ، فهي التي تؤكل الطفل ، وتنظفه ، وتلعبه ، وتذهب به إلى فراش النوم.

فالأم قد جاءت من عملها تعبة مرهقة من ضغط العمل ، فكل ما تستطيع فعله لطفلها هو أن تبتسم له ابتسامة مرهقة فاترة ، قد ضاعت على الشفاه ، وأن تلامس خده ملامسة باردة لا عاطفة فيها ولا حياة ، ثم تذهب لتنام ، فإذا ما قامت قبيل المغرب نظرت حولها ، فوجدت بقية أبنائها متحلقين حول الفيديو أو التلفاز ، فتنهرهم ، وتنعتهم بالإهمال ، ثم تبدأ بالمذاكرة لهم مذاكرة عابرة سطحية حتى لا تحس بوخز الضمير ، ثم تأخذ عباءتها وتبدأ في قضاء بعض الزيارات ، فإذا ما عادت إلى الدار وجدت الفيديو مفتوحاً ، والأطفال كأنهم

فَرَاش مبثوث كل منهم ملقى على وجهه دون غطاء ، ودون عشاء وإذا التقــت بالزوج المسكين فإنها تبدأ بالتشكي والتألم والتضجر ، وعلى الوسادة تتذكــر أن لديها طفلاً رضيعاً ينام الآن في حضن الخادمة لم تره طوال اليوم ، فتبتسم فــي بلاهة ، وترجئ رؤيته إلى الغد .

هــذا إذا كانت عاملة ، والمصيبة العظمى في المرأة المتزوجة الطالبــة ، فهذه ليس لديها وقت لرؤية نفسها ، فصبــاحها فـــي الجامعــة أو المدرســة ، ومساؤها في الاستذكار وتحضير الدروس ، والتأهب للامتحانـــات ، وحتمــاً تكون قد نسيت بيتها وأولادها وزوجها .

فالبيت متروك لذوق الخادمة ، والأطفال ومذاكرتهم ملقاة على عاتق البخت والحظ ، والــزوج دائر بين منازل الأصحاب ، فهو لا يستطيع الجلــوس فــي البيت الكئيب ، ولا يستطيع أن يقنع زوجتــه بالجلوس في المنزل ، لأنـــه قــد كبــل نفسه حين العقد بشرط إكمالها للتعليم .

وبعد هذا نرى **حــواء** تتشكى من ضعــف مســتوى أطفالــها الدراســي والتربوي ، ومن هروب وتفلت زوجهــا ، ومن عدم قدرتهــا على التحصيــل الجيد ، فهي كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وإني لأتذكر قصة الأســتاذ الجامعي الذي انشغلت عنه زوجه بمنصبها المرموق ، وأطلقت يد الخادمة فــي البيت ، فأصبح الزوج لا يراها إلا لماماً ، فما كان منه إلا أن تزوج الخادمة !!

وأخرى تحكي بكل افتخار إنها من شدة التعب لا تستطيع أن تقدم كوب ماء لزوجها ، وأصبحت تسمح للخادمة بأن تقوم بعمل مساج له لأن جسمه تعــب ، وهي ليس لديها الوقت لمثل هذا العمل الهامشي !!

❋ وطالبــة جــاءتني تبكي تريد تأجيل الامتحـــان ، وعندما سألتها عن السبب

قصت لي : إن زوجها قد أجريت له عملية " البواسير " منذ عـــدة أيـــام وهـــي منشغلة عنه بالامتحانات ، فحصلت له بعض المضاعفات حتى إنـــه لا يســتطيع الذهاب إلى دورة المياه بمفرده ، وهي لانشغالها لا تســتطيع أن تقــوم بذلــك ، وقامت بينهما مشادة ، فقال لها : أتودين أن تقوم الخادمة بهذا العمل ؟! وعلـــى الرغم من مقولته هذه لم تستطع التغيب إلا ليوم واحد ، لأن نظـــام الكـــلية لا يسمح لها بالتغيب ، وإلا حسم من مكافأتها ، وهي بالطبع لا تريـــد أن تضحـــي بجزء من تلك المكافأة !!

❋ وأخرى حكت لي عن أختها قصة أنكرهـــا ســمعي ، ورفضتـــها فطرتـــي ، وظللت طوال سماعي وأعصابي كلها مشدودة لعل النهاية تهدئ مـــن روعـــي ، وتسكن نفسي ، ولكن هيهات .

تقول راوية القصة : إن أختها الطالبة بإحدى الكليات قـــد لاحظـــت علـــى طفلتها البالغة من العمر ثلاث سنوات أنها تقـــوم بممارســـة صريحـــة لبعـــض الحركات الجنسية مع عروستها مما أدهشها وأفزعها ، فحكت للوالد مـــا رأت ، فاستيقظت حمية الأب الوهميـــة ، واتفق مع زوجـــه علـــى مراقبـــة المـــنزل ، وبالفعل اصطنع الأب نزول العمل ، وبقي خارج المنزل يراقبه .

وبعد مرور ساعة من الوقت رأى رجلاً غريبـــاً يصعـــد إلـــى داره ورأى الخادمة هاشة باشة في استقبـــاله ، وبعد برهة داهمهما وهما يمارسان الحـــرام أمام الطفلة دون خجل أو وجل ، ودون شفقة على تلك الطفلة البريئة .

عندما انتهت محدثتي إلى هذا الحد ، أخـــذت استحثهـــا لتقص علـــيَّ ردود فعل الأب ، لا بد أنه طردها شر طرده ، ولكنها قـــالت وبكل برود : إن أختـــها طالبـــة ، وعلى وشك ولادة ، والامتحانات على الأبـــواب ، وبالطبع لا تستطيع

الاستغناء عن الخـادمة في مثل هذه الظروف الصعبة ، وكل مـا فعلتـه أنـها ويختها ، وأصبحت تغلق عليها باب المنزل فقط !!

انغلق فمي المندهش ، وارتخت أعصابي المشـدودة إلى حد لم أعـد أدرك ما حولي ، وتثلجت أطرافي ، وأخذ الغثيان يتسرب إلى نفسـي ، والتسـاؤلات تتضارب في رأسي : أين عاطفة الأمومة التي تسير في شريان القلوب ؟! أيـن الحمية الإسلامية ؟! أين الغيرة المحمودة ؟! أين الخوف من الله ؟!

إذاً العمل أو الدراسة في مثل هذه الظروف يعد معول هـدم لا أداة بنـاء ، وعلى المرأة أن تتقي الله وتخشاه ، وترعى الأمانة الموضوعة بين يديها .

وعلى المـرأة أن تكون صادقة أمينة مع نفسها ، وأن تكون نزيهـة فـي حكمها ، وأن تلقي بكل أهوائها خارج حدود الذات ، ثم تبدأ في وضع المقيـاس الأمني للأسرة واضعة نصب عينيها قوله تعـالى : ﴿**إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾.[1]

وقوله ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والأمير راع ، والرجـل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » .[2]

وعلى المـرأة العاملة أن تسأل نفسها وتجيب بصدق تام ، مـا الهـدف الذي خرجت من أجله من دارها وجنتها ؟؟ هل هو المنصب والجاه حتى يقـال : فلانة متعلمـة ، وحاصلة على أكبر الشهـادات ؟! هل هو المركز الاجتمـاعي

---

(١) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب المرأة راعية في بيت زوجها : ٣/٤١ .

والوظيفي ؟! هل هي الأنانية المفرطة التي تدفعها لتحقيق الذات ؟! هل هي المادة التي بدأت تصهر كل المشاعر والأحاسيس الفطرية ، والتي عمت القلوب والأبصار ، فإن كان خروجك للعمل أو الدراسة لأحد هذه الدوافع ، فهو خروج لا بركة فيه ولا خير .

وكم سمعت من أفواه العاملات اعترافهن بالتقصير في أحد جوانب الحياة فتلك مقصرة في عملها تتغيب أياماً وتتهرب أسابيع ، وهي ماهرة في اختلاق المعاذير ، والتحايل على الوحدة الطبية ، والجري وراء الواسطات ، وبعد التغيب المتواصل تأتي بكل حماس في نهاية العام لتخلط الحابل بالنابل ، والنتيجة رسوب جماعي للطالبات .

وتلك مقصرة في حق زوجها ، فإذا ما صارحها بهذا التقصير نعتته بالقسوة وعدم الرحمة والأنانية ، والأخرى مقصرة في حق أبنائها ، فهي معلمة ناجحة ، ولكن أبنائها في مؤخرة الصف ، وتلك تتباهى بتوافر جميع الكماليات لدى أبنائها ، وأنهم أفخر الأطفال لبساً ، وما من لعبة إلا وقد أذلها أطفالها ، ونسيت أن هذه الجمادات لا تشبع عاطفة الطفل ، ولا تروي عطشه العاطفي ، ولا تغذي فكره ، ولا تقوّم شخصيته . ويستبعد أن تجد امرأة قد وفقت في جميع جوانب الحياة ، فطاقة الإنسان محدودة ، وتركيب المرأة الجسمي والعاطفي يقف حائلاً دون القيام بهذه الأعمال جميعها ، ولقوله تعالى : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾(١) .

٣- **الأمر الثالث** : التنازل عن الحقوق الشخصية تنازلاً كبيراً ، فالأم العاملة لا بد أن تودع ساعات الراحة ، وتحرم نفسها من كثير من مباهج الحياة ،

---

(١) سورة الأحزاب : ٤ .

وتحتمل الكثير الكثير من أجل إسعاد أبنائها وبيتها وزوجها ، وفي هذا مـــا فيــه من ضغط الأعصاب له أثره غير المباشر على مسيرة الحياة .

هذه بعض الحــلول الخاصة التي تقع على عاتق المرأة العاملة .

أمّا الحلول العامة :

فإنها تقع على عاتق المؤسسات التعليمية ونظام التعليم ، ومنها :

١ـ إعطاء الأم العاملة إجازة أمومة مفتوحة بدون راتب لمـــدة ثمـان ســنوات خلال سنوات العمــل كلها ، وفائدة هذه الإجازة هو تمكيـــن الأم مـــن تكييـف ظروفها العملية والأسرية .

٢ـ ويبدو لي أن أسلم الحــلول ، وأنفعها وأيسرها ، وأســـرعها هـــو خفـض ساعات العمل للأم العاملة ــ مع خفض الأجر بالطبع ــ بحيث يصبـــح نصـف دوام ، أو تطبيق نظـــام الساعات بحيث تعمل كل أم ســاعات معينــة بحسـب ظروفها على أن تتفق مع أختها أو جارتها ، أو أي شخصية تثق بها حق الثقـــة على أن تتناوبا العمل ورعاية الطفل .

ويحتاج هذا النظام إلى عدد كبير من المدرسات والأيدي العاملة ، ومن هنـا نتمكن من حل مشكلة الطالبات المتخرجات اللواتي يمكثن في منازلهن من غـــير عمل ، فأصبحن فريسة سائغة للفراغ .

٣ـ إنشاء حضـــانات على مستوى عالٍ ورفيع في كل مدرســـة ، أو مؤسســـة علمية ، والسماح للأم بإرضاع طفلها في ساعة معينة من العمل .

٤ـ ومن الممكن تعاون المدرسات مع بعضهن ففي حصـــص الفـــراغ تذهـب إحداهن لرعايـــة الأطفـــال ، ومراقبـــة النظــــام والنظافـــة فـــي الحضانـــة ، والاطمئنـــان عليهـــا .

٥ـ إنشاء المجمعـات التعليمية حيث يحوي المجمـع : حضانـة ، روضـة ، ابتدائي ، إعدادي ، ثانوي ، مما يمكن الأم العاملة من رعاية أبنائها ، ومراقبـة سلوكهم ، وسيرهم التعليمي بسهولة ويسر .

هـذه بعض المقترحات التي قد تساهم في إعادة الاستقرار الأسري الـذي فقد نتيجة لهروب المرأة من مسئوليتها بحجة العمل .

الأمومة الموؤدة

سقى الله أياماً كانت تفوح منها رائحة الأمومة عطرة زكية ، تلك الأيام التي كانت الأم فيها تجسد كل معاني الأمومة ، فكان همها الأول والأخير هو أبناؤها .

كانت تخاف عليهم من نسمة الهواء ، كانت تتفانى في تمهيد سبل الراحة لهم وتجتهد في تهيئة الجو السليم للاستذكار والتحصيل على الرغم من كونها غير متعلمة لا تقرأ ولا تكتب ولكنها كانت أماً واعية .

فالجهل أو التعليم ليس هو الفيصل ، وإنما هو الوعي ، وأنا في موضوعي هذا لا أخص المرأة المتعلمة فقط ، بل أخص كل أم متعلمة أو غير متعلمة ، كل أم أغمضت عينيها عن مسؤوليتها العظمى ، فكثير من الأمهات اليوم غير واعيات بمسؤولياتهن حيث تخلت الواحدة منهن عن أمومتها طائعة مختارة ، ولم تبق منها إلاّ الشكل الظاهري من مداعبة باردة أو بسمة هامدة ، وأصبحت التربية في مفهومهن مجرد نهر وصراخ وعقاب ، أما بقية وظائف الأمومة فقد ألزمت بها تلك الخادمة المستقدمة من بيئة مجهولة ذات ديانة أو عادات وتقاليد وأخلاقيات وطبائع تغاير مجتمعاتنا .

إنه مما يؤلم النفس حين تذهبين إلى ملاعب الأطفال وتنظرين حواليك فلا ترين إلا أطفالاً في سن الزهور اليانعة قد أرسلوا مع الخادمة والسائق .

وقد رأيت بأم عيني خادمة وسائقاً ومعهما عدد من الأطفال ، تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة إلى العاشرة قد تركتهم الخادمة يمرحون في الملاعب لتمرح هي مع السائق ، وأمام ناظر الجميع ، بل وناظر الأطفال !!

لقد تبلد حس الأمومة في النفوس وتجمد !!

* **ذكرت لي صديقة صدوق** ــ بإذن الله ــ أن طفلة قد تركت في المدرسة إلى ما بعد انتهاء الدوام لفترة طويلة ، فاضطرت المدرسة المناوبة للجلوس معها حتى أذان المغرب ، ثم اضطرت إلى أخذها معها إلى المنزل مع ترك رقمها وعنوانها عند بواب المدرسة ، بعد أن أعلمت المديرة بالوضع . ظلت في بيتها أمام الهاتف ، تنتظر أن يرن جرسه ولكن دون جدوى ، وما أن أشرق الصباح حتى اصطحبت معها الطفلة ، فطلبت المديرة والدتها ، وأخذت تنتظرها والغيظ يضطرم في جوانحها ، وبعد ساعة رأت أمامها خادمة تتكلم العربية بلسان ذي عوج ، وحين سألتها عن والدة الطالبة أخبرتها الخادمة أنها مندوبة عنها وعلمت منها أن الوالدة بالأمس كانت مشغولة جداً للحد الذي أنساها أن تسأل عن ابنتها ، والأب بطبيعته جاء متأخراً ودخل لينام معتمداً على السائق والخادمة ناسياً أن هذا اليوم هو يوم إجازتهما .

ومن المظاهر التي يندي لها جبين الأمومة أن مجالس الأمهات في بعض المدارس أخذت تكتظ بالخادمات بدل الأمهات .

وفي حديثي مع بعض معلمات الروضات كنت أفغر فمي عجباً مما أسمع فذكرت إحداهن أن أحد الأطفال قد جاء الروضة وهو يلبس قميص والده الداخلي !!

وأخرى ذكرت أن أزارير مريلة الطفل كانت معظمها منزوعة فما كان من الخادمة إلا أن صفت له صفاً من المشابك .

* **أما أغرب الحكايات** تلك الحكاية التي أبت أن تبرح خيالي ، والتي توضح قمة إهمال الأم وغفلتها وانعدام أمومتها .

ففي إحدى الروضات ، وفي وقت الانصراف وبعد مدة زمنية كبيرة تبَّرز طفل على ملابسه ، فما كان من المسؤولة إلاَّ أن خلعت له تلك الملابس ، ووضعت له الملابس المتسخة في كيس ، ووضعته في حقيبته ، لأن والده قد أتى ، وخادمة الروضة قد انتهى دوامها وانصرفت . كان هذا الحدث في نهاية الأسبوع الدراسي ، وفي يوم السبت ، وبعد أن دخل الأطفال الفصول ، شمت إحدى المعلمات رائحة كريهة جداً لا يستطيع تحملها إنسان ، وعندما أخذت تبحث عن مصدرها وجدت حقيبة أحد الأطفال وبها كيس به ملابس متسخة بالبراز ، وقد زحف إليها الدود ، وانبعثت منها الرائحة الكريهة .

وهنا نتساءل أين كانت الأم يوم الأربعاء ـ الخميس ـ الجمعة ؟؟

ألم تشاهد طفلها طيلة هذه الأيام الثلاثة ، ألم تسأل عن واجبه ؟؟

أين كانت حاسة الشم عندها ؟؟!

أين الخادمة الأمينة التي اعتمدت عليها ؟؟!

من أتى به يوم السبت صباحاً ؟؟ ألم يشم تلك الرائحة النفاذة ؟؟!

والظاهر أن كل الحواس والأحاسيس قد تجمدت بتجمد روح الأمومة .

تعود صديقتي وتذكر أن الإدارة بعثت تطلب حضور الأم وبعد إلحاح شديد حضرت الأم وهي في قمة زينتها إلى حد أدهش المديرة ، وأنكرت أن تكون هذه الأم الماثلة أمامها أماً مهملة ، ولكنها علمت منها أنها أم ومدرسة بإحدى المدارس !! لم تتملك المديرة نفسها ، وأخذت تؤنبها على ذلك الموقف ، والأم تتحدث في برود متناهٍ ، وكأن الأمر لا يعنيها .

وهذا الموقف يظهر أنانية هذه الأم ، وحبها لنفسها ، وانشغالها بزينتها ، والظهور بأبهى صورة مع إنكار حقوق أطفالها .

وصـــدق شـــوقي إذ قـــال :

وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ... ومن الغُرور فسَمِّه التضليلا
وإذا أصيب القــوم في أخلاقهــم ... فأقم عليهــم مأتماً وعويــلا
وإذا النســـاء نشـــأن في أميـــةٍ ... رضع الرجال جهالة وخمول
ليس اليتيم من انتهى أبـــواه من ... همِّ الحيـــاة وخلَّفـــاه ذليـــلا
إن اليتيـــم هـــو الـــذي تَلَقَّى لـــه ... أمًّا تَخَـــلَّتْ أو أبـــاً مشغولا [(١)]

ولله در الشيخ محمد الغـــزالي إذ قـــال :

" المرأة نصف بناء العالم ، فإن تمردت على وظيفتها تداعى البناء وانهار " [(٢)]

---

(١) الشوقيات : ١/١٨٣ .

(٢) قالوا في المرأة : ٢/١٣٩ .

كلمة إلى حواء الداعية

الدعـوة إلى الله أمر تكليفي على كل مسـلم ومسـلمة ، ولكـن ارتبـاط المـرأة بالزوج والأولاد يجعل طريق دعوتها مرهوناً بهما ، فطاعـة الـزوج واجبة ، ولا يحق لها أن تخرج للدعوة من غير إذنه ورضاه ، ولكن نجد بعـض النساء يعميهن الحماس عن اتباع هذا الأمر ، فنرى الـواحدة منـهن تخـرج للدعوة دون إذن زوجها أو أنها تتحايل عليه ، ولا تخبره بحقيقة المكـان الـذي سوف تذهب إليه ، ومنهن من تخرج وزوجهـا عليها ساخط ، وأتذكر في هـذا الصدد قصة فتـاة كانت تعمل بهمة ونشاط في أحد الأسواق الخيريـة ، وفجـأة شعرتُ بتغير في ملامحها ، وأخذت دموعها تتساقط ، فسـألتها عـن السـبب ، فأخبرتني أن زوجهـا غير راضٍ عن خروجها اليـومي المتكرر ، فـهذا هـو اليوم الثالث للسوق الخيري ، أضف إلى ذلك عـدداً من الأيـام قضتـها فـي الاستعداد لهذا السـوق ، وكذلك فهي تعود يومياً متأخرة جداً ، وقـد أضناهـا التعب والأرق ، وقد ترك اليوم البيت غاضبـاً ، ولا تدري هل سوف يعـود أم سيمضي ليله خارجـاً .

نظـرت إليها عـاتبة مستغربة أي أمر دعوي تتحـدثين عنه ، أين أنـت من قوله ﷺ : « **أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سـخط الله حتى ترجع إلى بيتها ، أو يرضى عنها زوجها** ».(١)

كان عليك أن لا تندفعي هذا الاندفاع ، وأن توفقي بين حبك للدعوة ، وحبك لزوجك ، فتشتركين في يوم واحد فقط ، هذا بعد رضاء زوجك ، وإلا فجلوسك

---

(١) الجامع الصغير : ١١٨/١ .

في بيتك أفضل ، وقد سمعت أخرى تتحدث بأنها امرأة عاملة ، وهـــي تخـرج للدعوة يومياً مع رضـــاء زوجها ، وموافقته التامة ، فهو أيضاً منشغل بـــالدعوة مثلها ، فأكبرت فيهما هذا الأمر ، حتى علمت أن أبناءهما يقضون معظم أوقاتهم بين أحضان الخادمات ، أو يطرقون أبواب الجيران ، وقد يمضي اليـــوم وينـــام الأطفال من غير أن ينعموا برؤية والديهما ، مع انتـــفاء المعايشة التـــي تمكـــن الـــوالدين من عملية التربية والتقويم ، فالتـــربية الإسلاميـــة ليست هـــي حفـــظ الأدعيـــة الدينيـــة فقط ، وحفظ بعض الآيـــــات وترديدهـــا علـــى مســـامع الزائرين والـــزائرات ، وإنما هي تطبيق عملي لهذه الآيات يظهر فـــي ســلوك الطفل وتعامله .

وتلك تتحدث عن نشاطها في الدعـــوة ، وتحث النساء على ترك الخمـــول والبلادة ، وأن ينشطن للعمل الدعـــوي ، فذكـــرت لها إحداهـــن أنـــها كثـــيرة الأطفال ، ولا تستطيع الخروج المستمر للدعـــوة ، وإنمـــا هـــي تحـــاول عقـــد مجالس للذكر مع جاراتها ، وبعض صديقاتها ، وظـــروف زوجـــها العمليـــة لا تساعدها ، فهو يأتي من عمـــله منهوك القوى يحتاج إلى بسمة صافية ، وإلى يـد حانية تنسيه ذلك التعب ، من سيقوم بخدمته ؟؟ فسألتها الأخـــت : أليـــس لديـــك خادمة ؟؟ فأجابتها : نعم لدي ، ولكنني لا أتركها تخدم زوجي ، ولا تظهر عليـــه إنما تقوم بأعمال المنزل فقط .

فأجابتها : بأن هذا هو الاستغلال السيئ للخادمات ، والذي يعيق الدعـــوة ، فإن مثل هذه الأعمال البسيطة الهينة مثل تحضير الطعـــام والشـــاي تســـتطيع الخادمة أن تقوم به ، وأن يقوم الأطفال بتقديمه لأبيهم ، فأنا الآن تركت زوجـــي وأطفالي عند الخادمة ، فأنا أثق في دينه وأخلاقه ، علاوة على أن غرفة الخادمة

بعيدة عن غرفته ، وحتى إذا نام الأولاد ، فهناك هاتف يستطيع أن يطلب عن طريقه الخادمة ، ويطلب منها ما يريد ، وتضعه عند باب غرفته وتذهب .

وهكذا استطاعت هذه الأخت أن تستخدم التكنولوجيا في الدعوة .

هذه بعض التعليلات السقيمة لبعض النساء اللواتي يجرفهن الحماس الوهمي بعيداً ، فيتركن الحقائق ، ويتعلقن بالجزئيات ، كيف تخرج الواحدة من دارها ، وتترك زوجها والخادمة تحت سقف واحد ؟! أين هي من قوله ﷺ :
« **لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم** » .(١)

وقال ﷺ : « **لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما** ».(٢)

وقال ﷺ : « **ولا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم** » .(٣)

وآخر يتحدث عن مأساته مع زوجه التي أهملت البيت والأولاد بحجة الخروج للدعوة ، فهي أم لثلاثة أطفال ، اثنان منهما مصابان بإعاقة تامة ، ويحتاجان إلى رعاية خاصة ، فهما لا يريدان من متع الحياة إلا الابتسامة المرتسمة على الوجوه ، واليد الحانية التي تمسح على رأسيهما ، ولكن زوجتي أهملت ولديها ــ ووالدهما من قبل ــ إهمالاً تاماً ، وتركتهما للخادمة تقوم على خدمتهما ورعاية شؤونهما ، وكم ناقشتها في الأمر ، وذكرت لها إن هذه مصيبة من مصائب الدهر عليها أن تحتسب أجرها عند الله لا أن تهرب منها ، وكم حاولت إقناعها بأن هذه المصيبة قد تكون هي الباب الذي ندلف منه

---

(١) صحيح البخاري ــ باب لا يخلون رجل بامرأة ــ : ٤٨/٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٨/١ــ٢٦ ، ٢٢ــ٤٤٦/٣.

(٣) رواه الترمذي ــ باب كراهية الدخول على المغيبة .

إلى الجنة ولكنها كانت تشيح بوجهها عنّي وتحمل كتب الدعـوة وتخرج قائلـة : ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾[1].

أي منطق غريب تتحدث به زوجتي ، فهي لم تفهم من الدعوة غير اسـمها ، ولم تفقه معنى الحركة في الدعوة إلا بالقدر الذي تنفس به عن ذاتها ، فهي بـلا شك تجهل حقيقة فقه الدعوة وأصولها .

وأخيـراً وبعد مناقشات طالت سنين عديدة قررت طلاقـها ، لتسـرح وتمـرح بحريتها في مجال دعـوتها ، ووقع اختياري على الخادمة علـى الرغـم مـن مكانتي العلمية والاجتماعية المرموقة ، فالخـادمة قـد تعايشـت مـع طفلـيَّ المعوقين وحبتهما الحب والحنان ، ومن يضمن لي زوجـة أخـرى تناسـب مكانتي ، وتحن على أبنائي إن كانت أمهما قد رفضتهما .

وتلك أخـرى قد أهملت بيتها وترتيبه ونظافته ، وأهملت نفسهـا وأناقتـها بحجة أن الوقت قد أزف ، ولا وقت لهذه الأمور الدنيوية التافهة ، فالنـاس فـي ضلال وغي ، والدعـوة أصبحت فرض عين ، فقد حـان وقت النفير ، ثـم إن من الزهد ترك مباهج الحياة ، وعدم صرف الوقت في غير العبادة والدعـوة . إن هذه النظرة السوداوية للحياة تجعل صاحبتها تتصور الأمور تصوراً عكسـياً فتلون نفسيتها بالألوان القاتمة ، فيتسرب إليها القلق والكـدر ، فيختـل مـيزان الأمور عندها .

لقد نسيت هذه الأخـت أن عمل المرأة في بيتها يعادل أجر الجهاد !!

✵ **روي أن أسماء بنت يزيد الأنصارية** رضي الله عنهما أتت إلـى النبـي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : «**يا رسول الله إنِّي وافدة النساء إليك ، إن الله بعثك**

---

(١) سورة الأنفال : ٢٨ .

بالحق للرجال والنساء فأمنّا بك ، واتبعناك وإنّا ــ معشر النساء ــ محصورات قواعد بيوتكم ــ وحاملات أولادكم ، وأنتم معشر الرجال فُضلتم علينا بـــالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى وشهادة الجنائز ، وأفضل من ذلك الجـــهاد فـــي سبيل الله تعالى ، وأن الرجل إذا خرج حاجاً ، أو مرابطاً ، أو معتمـــراً حفظنـــا لكم أولادكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أما نشارككم في هـــذا الخير والأجر يا رسول الله ؟ فالتفت ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ، ثم قـــال : " هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها ؟؟ " فقالوا : يا رســـول الله ما ظننا امـــرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فالتفت إليها رســـول ﷺ ، ثم قـــال : " انصرفي أيتها المرأة ، واعلمي من خلفك من النساء أن طاعة الزوج يعـــدل ذلك ، وقليل منكن من يفعله »[١].

والمرأة المسلمة الحقه يجب أن تكون أحرص النســـاء علـــى نظـــافتـــها ونظافة بيتها وأولادها ، لأن الإسلام أولى النظافة أهمية بالغة ، وجعلها شـــطر الإيمان ، قـــال ﷺ : « **الطهور شطر الإيمان** »[٢].

---

(١) الحديث بتمامه أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ، انظر الجامع الكبير ٢/٤٦٤ ، الـــترغيب والـــترهيب للمنذري : ٤/١٢١ . وقال رواه البزار والطبراني .

(٢) صحيح مسلم " كتاب الطهارة " : ٣/١٠٠ .

المرأة المثالية في نظر آدم

في مخيلة آدم صورة مثالية **لحـواء** ، وهو يجد متعته ولذته فـي تجديـد نقشها في أحلامه .

إنه يحلم بامرأة يجد في عينيها الحنان ، وبين يديها الراحة والاطمئنـان ، وفـي قلبها الحب والأمان ، فهل ترغب **حـواء** في أن تجعل حلم آدمها حقيقة ؟؟!

إذا أرادت ذلك فعليها أن تقترب من وجدانه ، وتتعـايش مـع أحلامـه ، لتعرف تصوراته وآراءه .

حقاً لقد حاولت **حـواء** أن تعيش في أعماق آدم ، وتتـآلف مـع فكـره ، ورأت عن قرب **حـواء المثالية** التي يتمناها ، وهاهي تنقـل إليـك ملامـح **حـواء** التي تسكن فـؤاده :

١ــ **حـواء المثالية** هي التي تخاف الله وتخشاه ، وتتقيـه وتراقبـه فـي جميع سلوكها ، فلا يصدر منها عمل إلا بعد أن يمر بعمليـة المراقبـة هـذه ، فيخرج خالصاً نقياً طيباً سليماً .

٢ــ **حـواء المثالية** هي التي تختار آدمها من أجل دينه وعقيدتـه لا مـن أجل ماله وسلطانه ، عاملة بقوله تعـالى : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم** ﴾ [١] .

وقوله : ﴿ **إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [٢] .

وقوله ﷺ : « **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه . ثلاث مرات** » [٣] .

---

(١) سورة النور : ٣٢ . (٢) سورة الحجرات : ١٣ .

(٣) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، انظر : سنن الترمذي ، كتاب النكاح ــ باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه : ٣٨٦/٣ ، رقم الحديث : ١٠٨٥ .

٣ـ **حواء المثالية** هي التي تحب زوجها حباً حقيقياً سامياً يترفع عن الرغبات الدنيوية ، ويوصله إلى طريق الجنان ، فتكون خير صاحب ، وخير معين على الخير ، فقد حث الرسول الكريم ﷺ على اختيار المرأة الصالحة المؤمنة التي تعين على الآخرة فقال : « **ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً ، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة** »(١) .

وفي رحاب هذا الإيمان يتمتع آدم ، ويرتع في رياضه ، فيحس طعم الحياة ، ولذة السعادة ، وصدق المصطفى ﷺ إذ قال : « **الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** »(٢) .

ويروى أن داود عليه السلام قال لابنه سليمان : (**يا بني إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك ، والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير**)(٣) .

٤ـ **حواء المثالية** هي الوفية لزوجها ، التي تحتفظ بحبها له سواء قبل إنجاب الأطفال أم بعده ، فهي التي تؤمن أن زوجها هو الأصل ، والأبناء هم فرع عن ذاك الأصل .

٥ـ **حواء المثالية** هي التي تحافظ على حرمة الحياة الزوجية ، وتأنف من تسرب أسرارها ، ولا تسمح لأحد بالتطفل وإقحام الأنف .

٦ـ **حواء المثالية** طيبة المعشر ، حلوة اللسان ، تمقت بذاءة اللسان لأنها

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء : ٣١٢/٢ .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي وأحمد ، واللفظ لمسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر : ٣٠/١٠ .

(٣) بهجة المجالس : ٣٠/٣ .

تؤمن بأن المـــرأة بذيئة اللسان " تدمي القلب ، وتجرح مشاعر الزوج ، وتؤذي الوجدان ، وتأتي بالهم والأحزان ، وتجلب الشجار والخصام ، إنـــها كـــالمنجل الذي يحصد سنابل الحب حصداً من قلب الزوج قبل موعد الحصاد "[1] .

وهي تؤمن أيضاً بقول عمـر بن الخطاب ﷺ : " لم يعط عبد مـــن بعـــد الإيمان بالله تعالى شيئاً خـــيراً من امرأة حسنة الخـــلق ، ولم يعط عبد من بعـــد الكـــفر بالله تعالى شيئاً أشد من امرأة بذيئة اللسان سيئة الخلق " .

٧ـ **حـواء المثالية** هي التي تضحي بوقتها ، وعملها ، ومالها ، وبكـــل غالٍ ونفيس من أجل استقرار الأمن في جنتها الصغيرة .

٨ـ **حـواء المثالية** هي تلك المرأة الذكية التي تحب التجديـــد ، وتمقـــت الروتين ، تحب التجديد في مظهرها ، وفي حديثها ، وأسلوبها ، وفـــي ترتيـــب بيتها ، ونظام حياتها ، فتبدو عروساً جديدة في كل لحظة .

٩ـ **حـواء المثالية** هي التي تعتني بصحتها ، ولياقة بدنـــها ، ولا تكـــثر التشكي من الأمراض ، فالرجل يحب المرأة المتعافية دوماً ، أمـــا المتمارضـــة فإنها تتضاءل في نظره .

١٠ـ **حـواء المثالية** هي التي تتفنن في التزين لزوجها ، فلا يقع نظـــره عليها إلا على مليح ، ولا يشم منها إلا أطيب ريح .

١١ـ **حـواء المثالية** هي التي تملك إحساساً مرهفاً يمكنها مـــن معرفـــة الأوقات التي يأنس زوجها للحديث معها ، فتقص عليه من الكلام ما أغنى وأفاد وتعرف الأوقات التي يتضجر فيها زوجها ، فتحبس لسانها عن الحديث حتى لا

---

(١) الزوجات الأعداء :٥٣.

يتسرب الملل إلى قلبه .

١٢ـ **حـواء المثالية** هي التي تحافظ على جيب زوجـها ، ولا تصـرف القرش إلا بحقه ، ولا تكبل زوجها بالديون لشدة إسرافها .

١٣ـ **حـواء المثالية** هي التي تحترم ذوق آدمها ، فلا تزدريه بحركـة أو نظرة ، بل تعمل جاهدة على إرضائه ، وتشكر له فضله وعطاءه .

١٤ـ **حـواء المثالية** هي التي تحترم زوجها أمـام الصغـير والكبـير ، والوجيه والوضيع في السر والعلن ، وترسم له صورة جميلة في نفوس الجميـع تتولد عنها الهيبة والاحترام .

١٥ـ **حـواء المثالية** هي تلك الأنثى الواعية التي لا تدع الغـيرة تحـرق قلبها ، فتعميها عن رؤية محاسن زوجها .

١٦ـ **وهي تلك الأنثـى الماهرة** التي تعرف كيف تكسب قلـب زوجـها عـن طريق كسبها لحمـاتها ، وحبهـا لأهله ، فالرجل يحترم الزوجـة التي تحـترم أهله ، وتودهم وتواصلهم .

١٧ـ **وهي تلك المـرأة المحنكة** التي تعي الأوليات في حياتها ، فلا تقدم أمـراً على آخر إلا بحسب أهميته وأوليته .

١٨ـ **حـواء المثالية** هي التي تستطيع التـوفيق بين الدعـوة في سـبيل الله وبين بيتها وأسرتها ، فلا تجعل أحد الجانبين يطغي على الآخر .

١٩ـ **حـواء المثالية** هي تلك التقية النقية ، الصوّامة القوامة ، لا شـامتة ولا لوّامة .

٢٠ـ **حـواء المثالية** هي التي تتخذ من زوجات الرسول ﷺ والصحابيات

مثالاً تقتدي به ، وتسير على خطاه .

٢١ـ **حـواء المثالية** هي التي تصغي في نهم إلى نصائح الغير ، وتستفيد من تجاربهم ، فتاريخنا العربي والإسلامي غني بالنصائح الثرّة ، فالعرب منذ القدم عركتهم التجارب ، فتمخضت حِكماً ومواعظ استفادت منها الأجيال في كل زمان ومكان .

قـال بعض العـرب : لا تنكحوا من النساء ستة : لا أنّانـة ، ولا منّانـة ، ولا حنّانة ، ولا تنكحوا حدّاقة ، ولا برّاقة ، ولا شدّاقة .

أما الأنّانة : فهي التي تكثر الأنين والتشكي ، وتعصب رأسها كل ساعة ، فنكاح الممراضة لا يأتي بخير .

والمنّانة : التي تمن على زوجها ، وتعيّره بكل فعل أدته له .

والحنّانة : التي تحن إلى زوج آخر ، أو ولدها من زوج آخر .

والحدّاقة : التي تحدّق في كل شيء ، فتطلبه نفسـها ، فـترهق زوجـها فـي إحضاره .

والبرّاقة : يحتمل معنيين : المعنى الأول : أن تضيع وقتها في صقل وجهـها ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع ، والثاني : أن تغضب على الطعام ، فـلا تأكل إلاّ وحدها ، وهذه لغة يمانية يقولون : برقت المرأة ، وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده .

والشدّاقة : المتشدقة الكثيرة الكلام .

ومنه قوله ﷺ : « **إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحاسـنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليّ ، وأبعدكم مني مجلسـاً يـوم القيامـة الثرثـارون والمتشـدقون ، والمتفيهـقون ، قالوا : قد علمنا الثرثـارون والمتشدقون ،**

فما المتفيهقون قال : المتكبرون » .[1]

ولقد جمع الخشني صفات المرأة السوء ، ولقد أوجز فأبلغ ، قال :

" إياك وكل امرأة مذكَّرة منكَّرة ، حديدة العرقـوب ، باديـة الظنـوب[2] ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شـديد ، تدفـن الحسـنات ، وتفشـي السيئات ، تعين الزمـان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ، ليـس فـي قلبهـا له رأفة ، ولا عليها منه مخافة ، إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلـت ، وإن ضحك بكـت ، وإن بكى ضحكت ، وإن طلقها كانت حرفته ، وإن أمسـكها كانت مصيبته ، سفعاء[3] ، ورهاء[4] ، كثيرة الدعاء قليلـة الإرعـاء[5] ، تـأكل لمًّـا ، وتوسع ذمًّا ، صخوب ، بذية ، دنية ، ليـس تطفـأ نارهـا ، ولا يـهدأ إعصارها ، ضيقة الباع ، مهتوكـة القناع ، صبيها مهزول ، وبيتها مزبـول ، إذا حدثت تشير بالأصابع ، وتبكي في المجامع ، بادية من حجابها ، نباحة علـى بابها ، تبكي وهي ظـالمة ، وتشهد وهي غائبة ، قد دلِّيَ لسانها بالزور ، وسـال دمعها بالفجور " .[6]

ولقد كان العـرب يحرصون كل الحرص على نصح بناتهم ، وتبصـيرهن بحقوق الـزوج ، وإرشادهن إلى طريق السعـادة ، كل ذلك بالحكمة والموعظة

---

(١) أخرجه الترمذي ، وقال : حسن غريب . سنن الترمذي :١/٣٦٣ . سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢/٤٣٤ رقم ٧٩٠ .

(٢) الظنوب : هو حرف العظم اليابس من الساق لشدة الهزال ، اللسان " ظنب " ١/٥٧٢ .

(٣) سفعاء : السفع السواد والشحوب . اللسان " سفع " : ٨/١٥٦ .

(٤) ورهاء : الوره الحمق في كل عمل . اللسان " وره " ١٣/٥٦٠ .

(٥) الإرعاء : النزوع عن الجهل ، وحسن الرجوع عنه . اللسان " رعي " : ١٤/٣٢٨ .

(٦) العقد الفريد : ٧/١٠٥ .

الحسنة .

* **روي أن رجلاً من العرب** زوّج أربع بنات له ، فزار أولاهن فقال : (كيف ترين بعلك يا بنية ؟ فقالت : السهل بأرض محل [١]إن سألت أعطى ، وإن سكت ابتدأ من غير مَنٍّ ولا أذى ، فقال : أي بنية رزقتيه بجدك لا بكدّك. ثم زار الثانية ، فقال : أي بعل بعلك ؟ فقالت : جبار عنيد من الخيرات بعيد ، لا توقد له نار ، ولا يأمن له جار ، فقال : أي بنيّة ، صبّت عليك بليّة ، فليكن الصبر منك سجيّة حتى تأتيك المنية ، ثم زار الثالثة ، فقال : كيف زوجك ؟ فقالت : ذو خلق نزق[٢]، وشر غلق ، يجود لي في الغنى ، ويحرمني إذا افتقر ، فقال : أي بنية تذمّين وتحمدين ، وكذا الدهر حين وحين ، ويحمل الغث والثمين ، ثم زار الرابعة ، فقال : أي بعل بعلك ؟ فقالت : ذو خلق جميل ، ورأي أصيل ، مقبل على أهله ، متكرم في رحله ، فقال : أي بنية رزقتيه ماجداً فامنحيه ودّك ، وألطفيه جهدك) [٣].

* **وسئل أعرابي عن النساء** وكان ذا تجربة وعلم بهن ، فقال : (أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت التي إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئاً جوّدت ، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها ، العزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ، الودود ، الولود ، وكل أمرها محمود) [٤].

ومن حكم سليمان بن داود عليه السلام : " المرأة العاقلة تبني بيتها ، والسفيهة تهدمه " [٥].

---

(١) المحل : الجدب ، وانقطاع المطر . (٢) نزق : أي خفة وطيش عند الغضب .

(٣) أحكام النساء : ٣١٤ــ٣١٥ . (٤) العقد الفريد : ١٠١/٧ . (٥) العقد الفريد : ٧٦/٧ .

المصادر والمراجع

١ــ **أحكــام النساء** ، ابن الجوزي ، تحقيق : علي بن محمد المحمدي ، ط١ ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١ هــ .

٢ــ **أخبار النساء** ، ابن القيم الجوزية ، شرح وتحقيق ، نزار رضا ، ط بدون ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ م .

٣ــ **إرواء الغليــل** ، محمد نــاصر الدين الألباني ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٣٩٩ هــ .

٤ــ **أعــلام النساء في عالمي العرب والإسلام** ، عمر رضا كحالة ، ط بدون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .

٥ــ **الأغــاني** ، أبو فرج الأصفهــاني ، ط١ ، دار الكتب العلميــة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هــ .

٦ــ **بهجة المجالس** ، ابن عبد البر ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٠٢ هــ .

٧ــ **تحفــة الأحــوذي بشــرح جــامع الترمــذي** ، محمــد بن عبد الرحمــن المباركفوري ، ط بدون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .

٨ــ **التــرغيب والتــرهيب** ، زكي الدين عبد العظيم المنذري ، ضبط أحاديثــه وعلــق عليــه : مصطفى عمارة ، ط١ ، دار الكتب العلميــة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هــ ــ ١٩٨٦م .

٩ــ **الجامع الكبير** ، أبو عبد الله محمد الشيباني ، عني بمقابلة أصوله : أبو الوفا

الأفغاني ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ هـ .

١٠ ـ **جمهرة الأمثال** ، أبو هلال العسكري ، حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، ط١ ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٩٦٤م .

١١ ـ **ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري** ، حققه لطفي الصقال ، درية الخطيب ، ط بدون ، دار الكتاب العربي ، سورية ، حلب ، ١٣٩٠هـ .

١٢ ـ **رسالة إلى حواء** ، محمد رشيد العويد ، مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣ هـ .

١٣ ـ **الزوجات الأعداء والزوجات الأسوياء** ، د . رمضان حافظ ، ط٢ ، المركز الدولي للنشر والإعلام ، ١٩٩٠ هـ .

١٤ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ .

١٥ ـ **سنن ابن ماجة** ، أبو عبد الله القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٥ هـ .

١٦ ـ **سنن أبي داود** ، سليمان السجستاني ، ضبطه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط بدون ، دار إحياء السنة النبوية ، دار الفكر ، التاريخ بدون .

١٧ ـ **سنن الترمذي** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط٣ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٩٨ هـ .

١٨ ـ **السنن الكبرى** ، أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي ، ط١ ، مطبعة مجلس

دائرة المعارف العثمانية بالهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٧هـ .
١٩ ـ **سنن النسائي بشرح السيوطي** ، أحمد بن شعيب النسائي ، ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٠ ـ **الشوقيات** ، أحمد شوقي ، ط١ بدون ، دار نشر بدون ، تاريخ بدون .
٢١ ـ **صحيح البخاري** ، محمد بن إسماعيل ، ط بدون ، دار مطابع الشعب ، التاريخ بدون .
٢٢ ـ **صحيح الجامع الصغير** ، الألباني ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دمشق ، ١٣٩٩ هـ .
٢٣ ـ **صحيح سنن ابن ماجة** ، الألباني ، ط٣ إشراف زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٧ هـ .
٢٤ ـ **صحيح مسلم بشرح صحيح النووي** ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٧ هـ .
٢٥ ـ **صفة الصفوة** ، ابن الجوزي ، حققه : محمود فاخوري وآخرون ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ١٣٩٩ هـ .
٢٦ ـ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** ، ابن العربي المالكي ، ط بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .
٢٧ ـ **العقد الفريد** ، ابن عبد ربه ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٢ هـ .
٢٨ ـ **غريب الحديث** ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ هـ .

٢٩ ـ **فتح البـاري شرح صحيح البخاري** ، أحمد بن علي العسقلاني ، ط٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، التاريخ بدون .

٣٠ ـ **الفـردوس بمـأثور الخطاب** ، إعداد السعيد زغلول ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ هـ .

٣١ ـ **فيـض القـدير شـرح الجـامع الصغير** ، محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي ، ط بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .

٣٢ ـ **قـالوا في المـرأة** ، عبد الله الجعيثن ، ط١ ، مرامر للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤١١ هـ .

٣٣ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ، علاء الدين علي المتقي البرهان قوري ، ضبطـه وفسر غريبـه الشيخ بكر حياني ، صححـه ووضع فهارسه :صفـوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٤ـ **اللـؤلؤ والمرجـان** ، وضعـه محمد فؤاد عبد البـاقي ، ط بدون ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .

٣٥ ـ **لسـان العـرب** ، ابن منظور ، ط بدون ، دار صادر ، بيروت ، لبنان التاريخ بدون .

٣٦ ـ **مجمع الزوائد ومنبـع الفـوائد** ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م .

٣٧ ـ **المستدرك على الصحـيحين** ، للحـاكم ، وبذيله التلخيص للذهبي ، ط بدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .

٣٨ ــ **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، ط٢ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨ هــ ــ ١٩٧٨ م .

٣٩ ــ **مشكـاة المصـابيح** ، محمد بن عبد الله الخطيب التبـريزي ، تحقيق الألباني ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٤٠٥ هــ .

٤٠ ــ **المصنف** ، عبد الرزاق بن همام ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه : حبيب الرحمــن ، ط بدون ، الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .

٤١ ــ **المصنف في الأحـاديث والآثـار** : أبو بكـر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ط بدون ، المطبعة العزيزية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٨٦ هــ .

٤٢ ــ **المعجم الصغير** ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، ط بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هــ ــ ١٩٨٣م .

٤٣ ــ **المعجـم المفهرس لألفـاظ الحـديث النـبوي** ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، ط بدون ، نشره ، أ . ي ، ونسنك ، مكتبة بريل ، ليــدن ١٩٣٦م .

٤٤ ــ **المعجم المفهرس لألفـاظ القـرآن الكريم** ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط بدون ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هــ .

٤٥ ــ **النهـاية في غريـب الحـديث والأثر** ، ابن الأثير تحـقيق : محـمود الطنـاحي ، طـاهر أحمد الزاوي ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هــ ــ ١٩٧٩م .

٤٦ــ **نيل الأوطار** ، محمد بن علي الشوكاني ، ط بدون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣م .

٤٧ ـ **هـواجس النسـاء** ، أسامة الشّواف ط١، دار الشّـواف ، الـريـاض ١٤١٤هـ .

٤٨ ـ **مجـلة كـل النـاس** ، السنـة الرابعة ١٨٦ ، الأربعاء ١ ديسمبر ، ٧ جمادي الآخرة ١٤١٣هـ .

المحتويات

الموضوع | الصفحة

إهــداء ٢
مقدمة الطبعة الأولى ٥
مقدمة الطبعة الثانية ٨
ماذا تريد حـواء ؟ ١٠
حـواء والحب الحقيقي ١٢
حـواء بين العناية بالأبناء وإهمال الزوج ١٧
حـواء وطاعة الزوج ١٩
حذار من تسرب الأسرار الزوجية ٢٤
حـواء في وسط المعركة ٢٧
حـواء والنزيف المادي ٣١
الاحترام بين الزوجين ٣٤
حـواء وذوق آدم ٣٦
حـواء والتخلي عن أنوثتها ٣٨
حـواء الصامتة وحواء الثرثارة ٤١
حـواء والمساومة ٤٣
حـواء والعلاقات الزوجية ٤٥

الموضوع	الصفحة

لا حياء في الدين ٤٩
حــواء وقطار الزواج ٥٢
حــواء زوجة الأب ٥٤
حــواء والزوجة الثانية ٥٨
الغيرة الحمقاء ٦١
كيف تكسبين حماتك ٦٣
كيف تعدين أبناءك للزواج المبكر ٦٧
أخطاء في التربية ٧١
حــواء العاملة ٧٣
الأمومة الموؤدة ٨٣
كلمة إلى حــواء الداعية ٨٧
المرأة المثالية في نظر آدم ٩٢
المصادر والمراجع ٩٩